جامعة الشرق الأوسط
MIDDLE EAST UNIVERSITY

أبو بكر الصولي وجهوده النقدية

Abu Baker al Soli and his Critical Efforts

إعداد الطالب

علي محمد مسلم الحواتمه

إشراف الأستاذ الدكتور

سعود محمود عبد الجابر

قدمت هذه رسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

2010م – 2011م

صفحة التفويض

أنا علي محمد مسلم الحواتمه أفوض جامعة الشرق الأوسط ، بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات ، أو المنظمات ، أو الهيئــات والمؤســسات المعنيــة بالأبحــاث والدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : علي محمد مسلم الحواتمه

التاريخ : ...٢٤.../...٤.../٢٠١١ م

التوقيع : ....

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها : **أبو بكر الصولي وجهوده النقدية**

وأجيزت بتاريخ : ٢٨ / ٨ / ٢٠١١م .

أعضاء لجنة المناقشة	جهة العمل – التوقيع
١. الأستاذ الدكتور :عبد الرؤوف زهدي	رئيساً ....
٢. الأستاذ الدكتور : سعود محمود عبد الجابر	مشرفاً ....
٣. الأستاذ الدكتور : محمد أحمد المجالي	عضواً خارجياً.........

شكر وتقدير

الحمد لله على فضله وإحسانه ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وله الشكر والثناء الحسن ، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، فإني إن كنت قد وفقت فيما ذهبت إليه في هذه الدراسة فإن ذلك مرده إليه سبحانه جلَّ شأنه ، لما حباني به من إرشاد عالم فاضل وموجه مخلص وصادق أمين في خدمة اللغة العربية .

كان أستاذي الدكتور سعود عبد الجابر نعم القدوة في النصح والإرشاد والإشراف والمثابرة والصبر والدقة والالتزام وطيب المعشر وحب العلم والدعوة إليه ، فأرجو من الله العلي القدير أن يوفقه في خدمة العلم والمتعلمين . وأن يجزيه عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة .

كما أتقدم بالشكر للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكملون هذه الدراسة بعلمهم وملاحظاتهم واطلاعهم الواسع على أسرار النقد الأدبي قديمه وحديثه ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد المجالي .

وكل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية ، بكلية الآداب في جامعة الشرق الأوسط ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي ، لما قدمه لي من عون ومساعدة وإرشاد إلى طريق البحث بالعلم والمعرفة والنصح دون ملل ، فاللسان يعجز عن ذكر فضلهم ومساعدتهم لي _ أطال الله عمرهم وجعلهم ذخراً لخير الوطن والأمة .

وكل الشكر إلى جميع من أعانني بجهده أو وقته أو دعائه سواء أكان من الأقارب أم من الأصدقاء أو الأحباب أو الزملاء .وأسأل الله أن يجعل كل ما قدمه أولئك في ميزان حسناتهم وأن يجزل لهم الأجر والثواب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الإهداء

أهدي رسالتي هذه إلى ....

والدي : رحمه الله وجعله من أهل الجنة .

والدتي : العزيزة أطال الله في عمرها .

زوجتي : الغالية حفظها الله .

ابني زيد وابنتي شهد : رعاهما الله .

لهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

الباحث

علي محمد مسلم الحواتمه

فهرس المحتويات

الملخص

قامت الدراسة على تبيان الجهود النقدية عند أبي بكر الصولي وتوضيحها وتفصيلها وتبيان دور الصولي في الكثير من القضايا النقدية التي دارت في القرن الرابع الهجري وخاصة قضية المقارنات والموازنات بين الشعراء ، والسرقات الأدبية ، وقضية اللفظ والمعنى ، والشعر وعلاقته بالدين .

وبينت الدراسة دور الصولي في كل من هذه القضايا بشكل مفصل وكيف أنه انتقل بالنقد الأدبي من مرحلة التأثر إلى مرحلة التطبيق العملي ، ويبدو هذا جلياً في مسألة المقارنات .

وتوضح الدراسة أن الصولي كان من أنصار الشعراء المحدثين وخاصة أبي تمام إذ تعصب له وناصره وتصدى لكل من أثار الشبهات حول شعره ومثلت على ذلك بتصدي الصولي للنقاد المتعصبين على الشعراء المحدثين .

وتتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول يضم كل من الفصلين الثاني والثالث بابين وقد ختمت دراستي بما توصلت إليه من نتائج وتوصيات .

تناولت في الفصل الأول : تمهيداً لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على عصر الصولي من الناحية الثقافية والعلمية وخاصة الحياة الأدبية والنقدية .

أما الباب الأول من الفصل الثاني تناولت فيه مكونات الصولي الثقافية ، اسمه ونسبه ،مولده ونشأته ،أساتذته وتلاميذه ، وأبرزت منابع ثقافته ، ومصادر روايته .

أما الباب الثاني : فقد جعلته خاصاً بنتاج الصولي و منهجه في التأليف

أما الباب الأول من الفصل الثالث : فقد خصصته لمنهج الصولي النقدي وآرائه النقدية وأهم القضايا النقدية وهي المقارنات ثم قضية السرقات ، ثم قضيتي اللفظ والمعنى و أوضحت موقف الصولي ونظرته للدين وعلاقته بالشعر .

أما الباب الثاني : فكان حول الخصومة بين القدماء والمحدثين .

وختمت دراستي بحمد الله بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة .

Abstract

This study is based on identifying the critical efforts of Abu Bakr al-Souli, clarifying , elaborating and demonstrating the role of Souli in a lot of monetary issues that took place in the fourth century AH, and especially the issue of comparisons and balances between the poets, plagiarism, the issue of pronunciation and meaning, and poetry and its relationship to religion.

The study shows the role of Souli in each of these issues in details and how he moved from literary criticism stage of vulnerability to the stage of practical application, and it seems this issue is clear in the comparisons.

The study shows that Souli was a supporter of modern poets, especially Abu Tammam where he was intolerance and espoused by him .He addressed each of the raised suspicions about his poetry and was represented that by criticizing the modern poets.

The study consists of an introduction and five chapters and I have finished my study with a conclusion including its findings and recommendations.

The first chapter dealt with a prelude to this study shed light on Al Souli age in terms of cultural, scientific and private life of literary and monetary

The second chapter: dealt with the Al Souli life , his name and lineage, his birth and upbringing, his teachers , his disciples, his highlighted culture, and his novel and its sources

The third chapter I made it special for Al Souli books and his

method of writing .

The fourth chapter is appropriated to Al Souli 's approach and his critical thinking and the most important critical issues such as comparisons and the thefts issues , then the issue of pronunciation and the meaning which clearly shows Al Soul's position and his view of religion and its relationship to poetry .

The fifth chapter is about the rivalry between the ancient and modern .

In the conclusion, I praise my Allah and shows the main findings and recommendations of the study.

المقدمة

أبو بكر الصولي (ت 336هـ) علم من أعلام النقد في القرن الرابع الهجري ، ألّفَ كتباً عدة في معارف شتى ، منها كتابي أخبار أبي تمام وأخبار البحتري ، وضع فيهما مقاييس وآراء نقدية هامة أثرت الحركة النقدية قديماً وحديثاً .

ولا شك أن دراسة علم من أعلام النقد السابقين ، تهدف إلى أن تقدم إلى الأجيال اللاحقة صوراً معبرة تمثل شخصيات العلماء والأدباء السابقين ، وتوضح آراءهم وثقافتهم وتلقي الضوء على ما قدموه للبشرية من نتاج علمي وأدبي في مختلف الميادين والأغراض.

وقد هداني البحث بفضل توجيه أستاذي الفاضل الدكتور سعود عبد الجابر إلى اختيار موضوع دراستي هذا فكان دراسة الجهود النقدية عند علم من أعلام النقد البارزين في القرن الرابع الهجري ، وقلما يخلو كتاب من كتب التاريخ أو التراجم أو الأدب أو النقد ، من تناول اسمه وآرائه وهو« أبو بكر الصولي » .

تطلّب البحث في دراسة الجهود النقدية لهذا العلم من أن اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول يضم كل من الفصلين الثاني والثالث بابين وقد ختمت دراستي بخاتمة ضمنتها أهم ما توصلت إلية الدراسة من نتائج وتوصيات.

تناولت في الفصل الأول : تمهيداً لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على عصر الصولي من الناحية الثقافية والعلمية وخاصة الحياة الأدبية والنقدية ، وذلك لإبراز العوامل المؤثرة التي أسهمت في تكوين شخصية الصولي النقدية.

أما الباب الأول من الفصل الثاني : تناولت فيه حياة الصولي، اسمه ونسبه ،مولده ونشأته ،أساتذته وتلاميذه ، وأبرزت ثقافته الموسوعية التي شملت جميع العلوم وفنون آداب عصره لأن الصولي لم يكن يؤمن بالتخصص في فرع معين من فروع العلم أو الثقافة لذلك جـاءت ثقافتـه شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية ، وأخيراً روايته ومصادرها إذ تناولت العوامـل التـي جعلت من الصولي راوية للأخبار والأشعار وأوضحت عناية الصولي برواية الشعر واهتمامـه بالأبيات التي أثارت حولها الخلاف .

أما الباب الثاني : فقد جعلته خاصاً بمؤلفات الصولي وقد قسمت كتب الصولي من حيـث الموضوعات إلى مجموعتين : الأولى تشمل مؤلفاته الإخبارية ومثلت على ذلك بكتـاب الأوراق وأخبار أبي تمام وأخبار البحتري ، والثانية : تشتمل على مؤلفاته الأدبية واللغوية فذكرت الكتب الموجودة ثم أوردت أسماء الكتب المفقودة .

وبعد أن تناولت مؤلفات الصولي بينت منهجه في التأليف ذلك المنهج الذي يقوم أساسـاً على : التعويل على الروايات ، والحرص على ذكر سلسلة الإسناد وإضافة الآراء الشخصية .

أما الباب الأول من الفصل الثالث : فقد خصصته لمنهج الصولي النقدي وآرائه النقديـة وقد شمل مقدمة وأهم القضايا النقدية التي تناولها الصولي في مؤلفاته وهي المقارنات التي عقدها الصولي بين الشعراء ، وخاصة بين أبي تمام والبحتري ، ثم قضية السرقات وموقف الـصولي منها ، ثم قضية اللفظ والمعنى وموقف الصولي فيها إذ بينت أن الصولي لم ينتصر للفـظ علـى معنى ولا لمعنى على لفظ وإنما زاوج بينهما إذ كان مقياس الجودة هو الفاصل عنده كما أوضحت موقف الصولي ونظرته للدين وعلاقته بالشعر ،إذ وضع الصولي الدعامة الأولى لاستقلال هـذه

النظرية النقدية في تاريخ النقد العربي وفصل الدين وقواعده عن الشعر وأحكامه وأبعد الكفر والإلحاد عن جودة الشعر أو رداءته .

أما الباب الثاني من الفصل الثالث : فكان حول الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وبينت أثر الصولي في الخصومة حول مذهب أبي تمام وكيف أن النقاد انقسموا إلى مؤيد ومناهض لهذا المذهب الجديد كما تناولت موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام، وبينت رأيه بمن عاب شعر أبي تمام بأن خصومه صنفان : رجل جاهل عجز عن فهمه فعابه ، ورجل ساقط يريد أن يتخذ من تجريحه لأبي تمام سبيلاً إلى المجد. وثم بينت ميل الصولي لأبي تمام فهو عنده رأس في الشعر[1].

وأخيراً بعد أن تناولت ميله وحبه لأبي تمام أوضحت بأن الصولي أصبح محامياً و مدافعا عن أبي تمام إذ رد عنه ما اتهم به من كفر وإلحاد .

وختمت دراستي بحمد الله بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة .

---

[1] انظر أخبار أبي تمام : 5

الفصل الأول :

- التمهيد .
- مشكلة الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- حدود الدراسة.
- منهجية الدراسة .
- الإطار النظري .
- الدراسات السابقة .

التمهيد

شهد النقد في القرن الثالث الهجري نهضة شاملة في الحياة الفكرية من علمية وأدبية ، كما شهد طوائف من العلماء ينصرفون للعلوم والفنون .

فعلماء الدين يبحثون في أصول الدين والتشريع كعلوم القرآن والحديث والفقه ، وعلمـــاء الكلام يجادلون في العقائد ، وعلماء اللغة يجدّون في جمعها ويضعون نحوها وعروضها وشعرها بناءً على ما جمعوه ، والإخباريون والنسابون يدونون في كتـــب شـــعر الـــشعراء وأخبـــارهم ، والمترجمون ينقلون إلى العربية عن اليونانية والفارسية والهندية معظم ما كان معروفا عن الأمم القديمة المتحضرة من فلسفة وعلوم وآداب .

وهذه النهضة العلمية الفكرية التي نمت وتطورت في القرن الثالث الهجري والتي أفـــاد منها علماؤه وأدباؤه وأضافوا إليها الكثير من جهودهم العلمية ، ازدادت قوة وحيوية ، واتـــساعاً وانفتاحاً ، وأثرت إلى حد كبير في كل شأن من شؤون الحياة العربية العامة ، ومن ذلك الـــشعر والنقد الأدبي .

أما الشعر فراح ينفعل بالحياة الجديدة الآخذة بأسباب الحضارة ، وراح يُمعن في تحضره وتحرره من قيود الشعر القديم وتقاليده ، كما راح يلبي أذواق عصره ، فيطرق أغراضا شـــعرية جديدة ، ويتوسع في أغراض أخرى ، ويستحدث في هذه وتلك معاني طريفة ، كما يتحدث بلغـــة شعرية تغلب عليها سيماء الحضارة الزاهرة آنذاك .

وأما النقد الأدبي فقد تأثر إلى حد بعيد بالنهضة العلمية والأدبية التي شهدها القرن الثالث الهجري ، ولهذا نراه يتطور كثيراً ، لا من حيث شكله ومظهره ولكن من حيث حقيقته وجوهره

وذلك بفعل العناصر الثقافية الأجنبية التي بدأت تتسرب إليه والروح العلمية التي تحركه وتسيره وتباين أمزجة المشتغلين به واختلاف ثقافتهم .

فالنقد الأدبي في هذا القرن لم يعد يعتمد كثيراً على الذوق الفطريّ أو الذوق العربي المحض ، وإنما أخذ يتجه إلى نقد يحاول الانتفاع بكل ما جاءت به النهضة العلمية في القرن الثاني الهجري ، وإن كان لم يتخلص تماماً من روح النقد العربي القديم.

وهذا التطور أو هذا الاتجاه الجديد الذي يريد أن ينتقل بالنقد الأدبي من نقد ذاتي إلى نقد موضوعي ، وضع له قواعد وأصولا علمية تقاس بها الأعمال الأدبية .

إن هذا الاتجاه الجديد في النقد كان سببا في الخصومة التي قامت وقتئذ بين أنصار القديم والحديث من الشعراء والنقاد ، وإذا كانت هذه الخصومة قد انقضت بانقضاء القرن الثاني وذهاب القدماء ، فإنها امتدت إلى القرن الثالث الهجري بين المحدثين أنفسهم : بين من تمسك منهم بمذاهب القدماء ، ومن يؤثر الجديد ويمعن فيه .

وهذه الخصومة بين المحدثين من الشعراء أدت بدورها إلى خصومة بين نقادهم، فمنهم من تعصب لأنصار القديم من الشعراء ، ومن تعصب لأنصار الحديث ومنهم من اتخذ طريقاً وسطاً بين الفريقين .

وإذا ألقينا نظرة على ميدان النقد في هذا القرن رأينا أن هناك فرقاً من النقاد لكل منها منهجها الخاص ومقياسها الذي تقيس به الشعر وتحكم عليه . ومن أهم هذه الطوائف : طائفة العلماء الأدباء ، ولعل أكثر رجال القرن الثالث الهجري اشتغالا بقضايا الأدب والشعر والنقد هم العلماء الأدباء ، ممن تعمقوا في الثقافة العربية وألموا بمعارفها ، وخير من يمثل هذه الطائفة

الجاحظ الذي كان لمؤلفاته الأدبية وآرائه وجهوده النقدية أثر كبير في تطوير حركة النقد الأدبي وتوسيع مجاله ، وتعبيد طرقه أمام من جاء بعده من النقاد.

أما النقد في القرن الرابع الهجري فقد كان متسع الأفاق متنوع النظرات خصباً جداً يعتمد على الذوق الأدبي السليم ، وهو نقد يرجع بنا إلى عهد متقدمي اللغويين ، الذين جروا في النقد على الأصول العربية في القرن الثالث الهجري ، فليسوا كاللغويين يعكفون على القديم وينفرون من المحدث ، وليسوا كالأدباء يفهمون الشعر المُحدث فهما عابراً لا يكشف سره ولا توضح علله وإنما هم صنف من النُقاد: الذين جمعوا بين الذوقين ، وأخذوا من الطريقين وتضلعوا في القديم وألفوا الحديث واعتمدوا على الذوق في فهم الأدب ، وأنسوا بما شاع في عصرهم من أساليب الجدال والحوار فصاغوا فيها كل ما اهتدوا إليه من أحكام ونظريات .

وفي القرن الرابع لا نجد ناقداً أديباً يستسيغ أن يقسم الشعر أربعة أضرب أو ثمانية ، أو يجعل للفظ نعوتاً محددة قاسية . وإنما الشعر أصبح إصابة معنى وإدراك غرض بألفاظ سهلة عذبة ، سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد ولا تنقص نقصاناً يقف دون غاية . لقد أصبح الشعر في هذا القرن صياغة حليت بالبديع ، ورصعت بالمحسنات في معنى دقيق وعميق لا يستخرج إلا بالغوص ، ولا يوصل إليه إلا بعد التفكير كما أصبح في نظر النقاد حسن النظم ، وصحيح السبك وقريب المأتى ، وكثير الماء . الشعر هو هذه العناصر جميعها موزعة بين الشعراء ، ومقسمة على فنون الشعر وأبوابه ، فوجوه الحسن فيه متنوعة ، ومظاهر القبح فيه متنوعة أيضاً والأذواق تتفاوت بين هذا وذاك تفاوتاً بعيداً . أما الطرق العلمية الخالصة فلا تستطيع أن تدرك

المجال الفني على وجهه ، وتصل إلى قراراته وتكشف سره ، وإنما مدار ذلك يعود إلى الذوق الأدبي وإلى الطبع والدربة والخبرة ، وكلها شروط يجب أن تتوفر في الناقد .

وبقدر ما يحرص الناقد على التنويه بالذوق الأدبي، والإشادة به، والتعويل عليه قبل كل شيء في دراسة الشعر فيقوّم ما ضعف، ويصل منه ما انقطع بقدر ما يقترب من فهم الأدب.

إن نقاد القرن الرابع قد عملوا على تدعيم مكانة فهم الأدب ، وعلى أن النقد صناعة لا بد فيها من طبع وقريحة ، كما لا بد في الأدب نفسه من طبع وقريحة ، ولا بد لهذا الطبع من خبرة وطول معاناة . وإن بعض العلماء واهمون حين يريدون أن يخوضوا في النقد بما عندهم من علم وأنهم يظنون باطلاً ، حين يبتغون معرفة أسرار النقد وغوامضه بتقسيمات المنطق واطلاع على بعض مقاييس اللغة العربية .

كل هذا تنديد بالذهنية العلمية في النقد ، وتعريض بالذين تصدوا له دون أن يكون لهم فيه طبع ودراية ودربة . حتى كان القرن الرابع الهجري، الذي جاء بأشخاص كانوا قوى دافعة في توجيه النظرية النقدية في الشعر فتعمقوا في العلاقة بين النظر والتطبيق، وحققوا للنقد شخصية متميزة بعض التميز. ومن هذه القوى : أبو بكر الصولي – موضوع الدراسة – الذي أسهم في تطور النقد الأدبي والذي كان لجهوده النقدية الأثر الأكبر في تطور النقد ورقيه .

وفي الحقيقة ، لم يكن هدفي – في دراسة الصولي – تتبع حياته أو استقصاء أخباره أو العكوف على حوادث التاريخ التي كان طرفاً فيها ، وإن كنت قد بذلت في سبيل ذلك الكثير من الجهد ، حتى يتسنى للقارئ أن يتعرف وبشكل واضح على شخص هذا العالم الأديب ، بل كان هدفي تبيان الجهود النقدية عند الصولي .

ومن أجل أن يستفيد منها أكبر قدر من القُراء ، فيجدوا فيها زاداً سائغاً ممتعاً ، وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت في تقديم هذا العالم الأديب الناقد ، وفي رسم صورة واضحة لمعالمه وملامحه ، تكشف عن جوانب نقده وعلمه ، وأسرار عبقريته وبالغ أثره في المجالات المتعددة التي شاء له حظه أن يدور فيها .

وكل ما أبغيه أن أكون قد أعطيت العلم حقه، وهذا الناقد حقه... فإن وجد في هذه الدراسة نقيصة تنقصها، فلست أدعي العصمة، فالكمال لله وحده، نسأله السداد والتوفيق...

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما القضايا النقدية التي عالجها الصولي في مؤلفاته ؟
- بم امتازت آراء الصولي النقدية ؟
- ما دور الصولي في تطور النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري ؟
- ما أثر جهود الصولي النقدية في انتقال النقد من نقد تأثري إلى نقد تطبيقي ؟

أهداف الدراسة :

الوقوف على الجهود النقدية التي بذلها الصولي ، وأثاره الأدبية ، (شعراً ونثراً) وجهوده النقدية ، ومساهمته في تطور النقد الأدبي ، وأهم القضايا التي طرقها في مؤلفاته وبخاصة ، في كتابي ، أخبار أبي تمام ، وأخبار البحتري .

أهمية الدراسة :

ولاشك أن هذه الدراسة سيفيد منها كل باحث يرغب بالوقوف على جهود أبي بكر الصولي في مجال النقد الأدبي ، خاصة أن الصولي لم يحظَ من قبل بدراسة وافية مستقلة .

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة أبا بكر الصولي وجهوده النقدية ، في القرن الرابع الهجري ومكانته في النقد الأدبي ، ودوره في تطور النقد وتقدمه في ذلك العصر ، والإضافات النقدية الجديدة التي جاء بها هذا الناقد ، التي حفلت بها مختلف مصنفاته الأدبية .

منهجية الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي القائم على تحليل المحتوى ، وذلك من خلال جمع وتحليل المعلومات النقدية التي أوردها الصولي في مختلف مصنفاته ، مرتكزة على مختلف المصادر ، والمراجع ، والدوريات ، ودراستها وتحليلها بشكل موضوعي .

الإطار النظري :

- (الصولي – 1963)

وهو كتاب في سلسلة أصدرها في أخبار الشعراء وخص كل واحد منهم بكتاب مفرد . ألف هذا الكتاب للأمير أبي الليث مزاحم بن فاتك ، ويتضمن آراء نقدية ودفاعية عن مذهب أبي تمام في التجديد والصنعة.

- (الصولي –1958)

وهو كتاب متمم لأخبار أبي تمام، وفيه يفضل أبا تمام ويؤخر **البحتري** بوصفه تلميذاً لأبي تمام ، ويورد بعض أخطائه ومساوئه. والكتاب مقدمة

لديوان **البحتري** الذي جمعه الصولي، وفيه ترجمة للشاعر وأضـــواء علـــى حياته وعلاقاته بالخلفاء وأعلام عصره وعلمائه .

❖ (مطلوب – 1973)

تكمن أهمية الكتاب في إبراز أهم الاتجاهات النقدية وتسليط الضوء على نقاد ذلك العصر، وقد أشار لأبي بكر الصولي ، وموقفه من أبي تمام والبحتـــري دون تفصيل أو تعليل .

❖ (عتيق – 1980)

يهتم الكتاب بدراسة تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، والتعرف إلـــى جهـــود علماء العرب والمسلمين في تطور النقد الأدبي وازدهاره .

❖ (عباس – 1983)

يحفل الكتاب بالعديد من الآراء النقدية ، منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ويورد في الكتاب رأياً مفاده ، بأن مؤلفات الصولي هي أقرب إلـــى السّير منها إلى النقد [1]. وهذا الرأي لا يتنافى مع جهود الصولي النقدية .

❖ (سلام –1983)

يعرض الكتاب أصول النقد العربي القديم ومشكلات هـــذا النقـــد وقـــضاياه ويقاربها من قضايا النقد في العصر الحديث.

---

[1] انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 151 .

- (مندور – 1986)

يطرح الكتاب العديد من قضايا النقد الأدبي ومعالجتها وبيان آراء وجهود النقاد العرب في تلك القضايا.

- (المومني – 1986)

يتناول الكتاب أهم النقاد في القرن الرابع الهجري، وكذلك أهم القضايا النقدية كقضية اللفظ والمعنى، والسرقات.

إن تلك الكتب في الإطار النظري قد تناولت القرن الرابع الهجري وتطرقت إلى أهم نقاد ذلك العصر وأوضحت دورهم في تقدم النقد الأدبي وتطوره ، غير أنها لم تتناول جهود الصولي النقدية بشيء من التفصيل وإنما كان فيها إشارات عابرة يتم ذكره فيها حينما يذكر مذهب الصنعة ، أو التعصب لمذهب أبي تمام وأسلوبه الجديد في صناعة الشعر .

الدراسات السابقة :

❖ تحريشي (رسالة ماجستير) ، (1989)

يتطرق إلى مساهمة النقد الأدبي في شرح و توضيح الشعر العربي خاصة في القرن الرابع الهجري، مركزاً على قضية اللفظ والمعنى، ومقياس الجودة و الرداءة، في توصيل مضامين الشعر وشرحه، وتأثر المحدثين بالقدامى وكذلك خروج بعض المتأخرين على منهج القصيدة العربية القديمة.

❖ موسى (أطروحة دكتوراه) ، (1992)

تبين الدراسة مساهمة النقد الأدبي في إثراء النثر الأدبي في القرن الرابع الهجري، والتركيز على مختلف ألوان النثر، وما جاء فيه من تجديد وصنعة وإغراق في استخدام المحسنات البديعية، ويذكر أهم الكتب التي ألفت في ذلك العصر.

❖ ربابعة (رسالة ماجستير) ، (1995)

تتناول الدراسة أسس النقد الأدبي، وكيفية تطوره، وأهم العوامل التي كان لها الأثر الأكبر في تقدم النقد وازدهاره، ويتعرض لأهم القضايا النقدية ، ويُجمل معظم المصنفات والمؤلفات النقدية في تلك المرحلة .

❖ أورنه (رسالة ماجستير) ، (2003)

اتخذ من شعر المتنبي نموذجاً لبيان مواطن الجمال ومسألة التأثر والتأثير في المعاني وخلق وإبداع الصور والتراكيب الجديدة المعبرة، التي كان لها أثــر كبير في تطور النظرية النقدية، والانتقال بها إلى مراحل متقدمة.

خاضت الدراسات السابقة في موضوع النقد الأدبي في القرن الرابــع الهجري وتناولت القضايا التي تناولها الصولي والتي كان له فيها رأي واضح غير أنها لم تذكر جهود الصولي في تلك القضايا ، وإنما كان ذكره للاستشهاد على قول غيره من نقاد عصره .

الفصل الثاني

الباب الأول : مكوناته الثقافية

1- اسمه ونسبه .

2- مولده ونشأته .

3- أساتذته .

4- تلاميذه .

5- منابع ثقافته .

6- مصادر روايته .

اسمه ونسبه

أجمعت المصادر العربية التي ترجمت لأبي بكر الصولي على اسمه ، ونسبه ، وكنيته ولقبه . فهو : ((**محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين**)) **البغدادي الشطرنجي** .إلا أننا نجد التباين والاختلاف في طريقة إيراد اسمه من حيث الطول والقصر .

فمنهم من أورد اسمه واسم أبيه فقط [1]، ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وسلسلة أجداده حتى وصل إلى الجد الأكبر صول تكين [2] .

وتبع اتفاقهم على اسمه ونسبه اتفاقهم أيضاً على كنيته ولقبه، فهو عندهم جميعاً

((أبو بكر الصولي البغدادي الشطرنجي)) [3] .

أجمع أغلب المؤرخين ، والأدباء ، وأصحاب التراجم ، بأن لقب (الصولي) هذا نسبة إلى جده الأكبر (صول) [4] .

وعموماً إنه جرجاني الأصل من مدينة صول ، فمن ينسبه إلى جده يطلق عليه (الصولي) ومن ينسبه إلى موطنه يطلق عليه (الصولي) ، غير أن نسبته إلى جده مما أجمع عليه الرواة والمؤرخون .

---

[1] شذرات الذهب : 2\ 339 .

[2] وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 6\359 ، معجم الشعراء : 265 ، معجم الأدباء : 19\109 .

[3] مرآة الجنان : 2\319 .

[4] وفيات الأعيان :1\25 .

وقد أجمع كل الذين ترجموا لأبي بكر الصولي على عراقة أصله ، ونسبه ، فقال ابن الأنبا ري[1]: ((وكان ذا نسب فإن جده (صول) وأهله كانوا ملوك جرجان))

وقال ابن الأثير، والسمعاني ، وابن الجوزي [2]: ((جده الأعلى هو صول ملك جرجان))

وتشير المصادر العربية القديمة إلى أن أبا بكر محمد بن يحيى أحد حفدة (صول تكين) الأمير التركي الجنس ، الذي نزح إلى جرجان إحدى مدن فارس وتملكها هو وأخوه فيروز وتشبه بالفرس ودان بدينهم المجوسي ، وعبد النار وظل على ذلك ردحاً من الزمان فنشأت سلالته على التشبه به وبأهل فارس ، حتى كانت حملة (يزيد بن المهلب بن أبي صفرة) على جرجان واستيلائه عليها ، ودخول الإسلام فيها ، فأسلم (صول) على يديه وأصبح مولى من مواليه ولم يزل معه حتى خرجا معاً على بني أمية فقتلا يوم العقر[3] سنة 102 هـ .

مولده ونشأته

كان مولد الصولي ببغداد[4]،حيث نشأ بها ، ولم يذكر مؤرخوه أو المترجمون له شيئاً عن مولده أو طفولته .عموماً إن أبا بكر الصولي ولد في خمسينيات القرن الثالث الهجري في سنة خمس وخمسين ومائتين . فنحن نرى صورة لشبابه في بغداد وتردده على الأدباء والعلماء والشعراء في سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة.

---

(1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء : 343 .

(2) الكامل في التاريخ : 6\324 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 6\359 .

(3) الأغاني : 10\43 . (يوم العقر : هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب وصول سنة 102 هـ)

(4) إرشاد الأريب : 7\136 ، معجم الأدباء : 19\ 110

ويحدثنا الصولي أنه التقى بالبحتري الشاعر[1]في هذه السنة وقرأ عليه وسمع منه . كما يحدثنا عن اتصاله بالمبرد [2]عند عبد الله بن الحسن القطربلي. ويذكر الصولي بعض الأخبار عن أبي بكر أحمد بن زهي [3].

ويقول الصولي عن ابن أبي طاهر[4]: ((وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة ، فلما رأيته صحفياً ، لم أرَ عنده ما أريد تركته ...))

هذا كله يدل على أن أبا بكر الصولي كان مواظباً على حضور هذه المجالس وقد تجاوز العقد الثاني من عمره ... حتى يكون قادراً على استيعاب ما يُقال فيها، قادراً على الحكم على العلماء والأدباء.

والذي يؤكد لنا هذا الرأي ويدعمه ، قول الصولي في مديحته الضادية للرضي بالله[5] :

وإذا دنتْ سبعون منْ مُتأمّلٍ دانى ولمْ يرَ في اللَذاذة مَرْكضا

أساتذة الصولي

تشير المصادر العربية إلى إن أساتذة الصولي أعلام الثقافة والأدب واللغة والنحو والفقه والحديث في عصرهم ، تتلمذ عليهم ، وحضر مجالسهم وحلقاتهم ، ونقل عنهم وروى لهم وكان لهم الفضل الأكبر في توسيع آفاقه وتنوع ثقافته في شتى ألوان العلوم.

---

(1) أخبار البحتري : 49 .
(2) المصدر نفسه : 99 .
(3) أخبار الشعراء : 145 .
(4) المصدر نفسه : 210 .
(5) المصدر نفسه : 210

❖ **فمن علماء الحديث الذين تتلمذ عليهم الصولي .**

عبد الرحمن بن خلف الضبي ، المعروف بأبي رويق الضبي [1]المتوفى سنة 279هـــ والذي اشتهر برواية الحديث في بغداد .

ومحمد بن يونس البصري المشهور بأبي العباس الكديمي [2]المتوفى سنة 286هـ الذي رحل من البصرة إلى بغداد ، واشتهر بأنه كان حافظاً للحديث راوياً له كما اشتهر برواية الغرائب

ومعاذ بن المثنى العنبري المتوفى سنة 288هـ الذي عاش في بغداد واشتهر برواية الحديث فترة طويلة .

وسليمان بن الأشعث المعروف بالسجستاني [3]المتوفى سنة 316هـ الذي يقول عنه ابن النديم ((هو من جلة المحدثين وفقهائهم ، وله من الكتب كتاب التفسير ، وكتاب ابن أبي داود وكتاب المصابيح في الحديث ، وكتاب المصاحف ، وكتاب نظم القرآن ، وكتاب فضائل القرآن وكتاب شريعة التفسير ، وكتاب شريعة المقاري ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب البعث والنشور))[4]. كل ذلك مما يدل على غزارة علمه وفقهه ومعرفته بعلوم الدين .

❖ **ومن علماء اللغة والنحو :**

---

[1] أنباه الرواة :3\234 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، الأنساب : 357 .

[2] لسان الميزان : 5\427 ، أنباه الرواة : 3\234 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 6\324

[3] مرآة الجنان : 2\319 ، لسان الميزان : 5\427 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، الكامل في التاريخ : 6 \324 .

[4] الفهرست : 324 .

أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد [1]المتوفى سنة 285هـ وهو إمام البصرة في العربية والنحو في عصره ، والذي يُعد ممثلاً لأرفع ما بلغته الثقافة العربية الخالصة في القرن الثالث الهجري ، وله من المؤلفات (كتاب الكامل) وكتاب (الفاضل) وغيرهما .

وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني المشهور بثعلب [2]المتوفى سنه 291هـ وهو إمام مدرسة الكوفة في النحو و اللغة ، وهو عالم ثقة راوية للشعر القديم ، علامة بالغريب ، وضع كتباً عدة منها (الفصيح و مجالس ثعلب و قواعد الشعر) .

وهما العالمان اللذان يفخر الصولي بعلمهما وأستاذيتهما له فيقول [3] : ((ومن جليل من رأيناه وأزمناه وأكثرنا عنه من بعد صيته ، وشهد بالعلم له ووقع الإجماع عليه اثنان :أبو العباس الأزدي ، وأبو العباس الشيباني رحمهما الله)) . كما أخذ الصولي عن أحمد بن عبد الرحمن النحوي .[4]

❖ **ومن الإخباريين وأصحاب النوادر :**

---

[1] وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، الأنساب :357 ، المنتظم : 6\359 ، تاريخ بغداد: 3\427 ، الفلاكة والمفلكون : 103 ، البداية والنهاية في التاريخ : 11\219 ، مرآة الجنان : 2\319 .

[2] مرآة الجنان : 2\319 ، لسان الميزان : 5\427 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، البداية والنهاية في التاريخ : 11\219 ، أنباه الرواة : 3\234 ، الأنساب : 357 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، المنتظم : 6\359 ، تاريخ أبي الفداء : 2\96 .

[3] أخبار أبي تمام : 7 .

[4] أنباه الرواة : 3\234 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، الأنساب :357 .

محمد بن زكريا الغلابي ، المعروف بأبي عبد الله الغلابي البصري ، الذي اشتهر بنقل الأخبار ورواياتها .

ومحمد بن القاسم بن خلاد الضرير المعروف بأبي العيناء [1]المتوفى سنة 283هـ صاحب النوادر والشعر والأدب ، الذي اشتهر بأنه كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً وأحضرهم نادرة .

وكان الصولي يكتب كل ما يسمعه من أساتذته ويدون ما يملونه من آراء ويسجل ما يعن له من ملاحظات في كتب خاصة ، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة كل كتبها من سماعه وتصنيفه وتدوينه .

لم يقف الصولي عند ما ثقفه أو تعلمه من أساتذته فقط ؛ بل أنه قرأ كتب الأقدمين واطلع على تراث السالفين من الأمم المجاورة من اليونان والأتراك والفرس، فنقل عن بعض ملوك اليونان [2] كما نقل عن جالينوس [3] وأرسطاطاليس [4] إذ نجد أثر ذلك كله في كتابه (أدب الكتاب) فقد ضمنه العديد من الأقوال والحكم والمأثورات.

تلاميذ الصولي

---

(1) أنباء الرواة 3 :\234 ، تاريخ بغداد : 3\427 ، لسان الميزان : 5\427 ، البداية والنهاية في التاريخ : 11 \ 219 ، المنتظم : 6\359 .

(2) ج.هيوث دن – مقدمة كتاب الأوراق : قسم أخبار الشعراء : 16

(3) أخبار الرضي بالله : 147 .

(4) أدب الكتاب : 50 .

كما تتلمذ الصولي على أيدي أعلام عصره ، وتأثر بثقافتهم ، واستشهد بآرائهم ، وروى عنهم ما ذكروه وتناولوه وعليه ؛ فإن له نخبة من التلاميذ الذين شُهد لهم بالعلم والثقافـة والأدب وكان لهم دور فعال ومؤثر في نقل الثقافة العربية إلى الأجيال اللاحقة ، كما كان لهم الأثر فـي التأليف والتصنيف والرواية من بعده .

ومن العلماء الذين تتلمذوا على الصولي وأخذوا منه ، ونقلوا عنه:

علي بن الحسين الأصفهاني المعروف بأبي الفرج الأصفهاني[1] المتوفى سنة 356هـ فقد روى عنه في أغانيه ما يقرب من ثلاثمائة خبر .

ومحمد بن عبد الله بن شاذان المشهور بأبي بكر بن شاذان[2] المتوفى سنة 376هـ وهو الذي جمع كلام المتصوفة .

ومحمد بن عمران المشهور بأبي عبيد الله المرزباني[3] المتوفى سنة 384هـ الذي كان يفخر بأستاذه ويقول ((شيخنا رحمه الله))[4] فنجد في كتبه – خاصة الموشح ومعجمه نُقُولاً كثيرة يرويها عن الصولي .

وعلي بن عمر الدارقطني المعروف بأبي الحسن الدارقطني[5] المتوفى سنة 385هـ الذي انفرد بالإمامة في علم الحديث مدة طويلة من الزمن .

---

(1) تاريخ الأدب العربي : 3\51.

(2) أنباه الرواة : 3\234 ، الأنساب : 357 ، نزهة الألباء : 343 .

(3) وفيات الأعيان : 3\477 ، الأنساب :357 ، الفلاكة والمفلوكون : 103 .

(4) معجم الشعراء : 465 .

(5) وفيات الأعيان : 3\477 ، الأنساب : 357 ، المنتظم : 6\360 ، تاريخ أبي الفداء : 2\96 .

الأمير محمد بن المقتدر بالله المتوفى سنة 329هـ – يقول عنه الصولي : ((إنه تتلمذ عليه وقرأ عليه كتباً كثيرا ...)) [1] **.ومنهم أيضاً سيف الدولة الحمداني** المتوفى سنة 356هـ – أمير حلب – يقول الصولي :((إنه كان في حداثته يلزمني ، وقد قرأ على علماء كُثر ...)) [2] .

ومن تلاميذ الصولي أيضاً – قاضي بغداد – عمر بن محمد المتوفى سنة 328هـ والذي تولى القضاء لفترة طويلة ويقول عنه الصولي[3] : ((كان تلميذاً لي ، وكنت أنا كالمربي له .. قرأ علي من كتب اللغة والأخبار، وكتبي المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة...)) .

ولقد تتلمذ على الصولي رجال كثيرون ذكرتهم المصادر كما ذكرهم الصولي نفسه بين ثنايا مؤلفاته من هؤلاء : أبو أحمد الفرضي (ت 366 هـ)[4] وأبو الحسن بن الجندي (ت 351هـ)[5] وأبو أحمد بن الدهان (ت 361 هـ)[6] وأبو عمر بن حيوية(ت 370هـ)[7] وعبيد الله بن عثمان بن يحيى(ت 373هـ)[8] .

إن الناظر في مؤلفات تلاميذ الصولي يجد أثر الصولي واضحاً وأسلوبه حاضراً ، وخير مثال على ذلك تلميذه المرزبان الذي رصع موشحه بآراء الصولي النقدية . ومثله فعل الأصفهاني في مؤلفه الأغاني .

---

(1) أخبار الرضي بالله : 25 .

(2) أخبار المتقي لله : 218 .

(3) أخبار الرضي بالله : 141 .

(4) الأنساب : 357 ، تاريخ بغداد : 2\427 .

(5) أنباه الرواة : 3\234 .

(6) المصدر نفسه : 3 \ 235 .

(7) الأنساب : 357 ، المنتظم : 6\360 .

(8) تاريخ بغداد : 3\427 .

منابع ثقافته

الشمول والتنوع هما الصفتان اللتان اتسمت بهما ثقافة الصولي ، ذلك أنها ثقافة موسوعية شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره ، فهو لم يترك علماً من العلوم ، إلا ونهل منه .

بهذا كان يجاري تيار عصره الذي لا يؤمن بالتخصص في منحى خاص من مناحي العلم أو الأدب ، بل كان يحتم على المرء أن يجمع من كل بستان زهرة خصوصاً لمن كان يؤهل نفسه علمياً وأدبياً لكي يدخل قصور الخلفاء كاتباً وأديباً ومعلماً ونديماً ، ويؤهله طموحه لكي يشغل المناصب الكبرى في الدولة .

ثم نجد الصولي قد انتهج المنهج نفسه الذي كان شائعاً في عصره : ((من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن أراد أن يكون أديباً ، فليتسع في العلوم)) [1] .

لم يكن في عصر الصولي لطابع التخصص شأن ، بل إنهم كانوا يزدرون التخصص ويقبحونه ، ويعيبون أن يكرس المرء جهوده لعلم واحد أو لفن واحد ، لأنه في هذه الحالة يتصف بالقصور والجمود ، فلا بد من تنوع المعارف ((فما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة ، لا يعرف إلا فناً واحداً ، حتى إذا سُئل عن غيره لم يُجْلِ فيه)) [2]

لذا عمل الصولي على تنويع ثقافته وتلوينها ، والإلمام بكل علم وفن ظهر وشاع في عصره ، حتى صارت ثقافته شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية من علوم وفنون وآداب ظهرت هذه الثقافة الشاملة المتنوعة، وبدت جلية في تأليف وتصنيف كل هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل على اختلاف علومها وفنونها، وتنوع أغراضها ومضامينها.

---

[1] العقد الفريد : 2\423 ، تاريخ بغداد : 11\407 ، أنباه الرواة : 162/2 .

[2] تاريخ بغداد : 407/11 ، أنباه الرواة : 162/2 .

ذلك لأن ثقافته هذه لم تكن وقفاً على الدراسة والاستيعاب والاطلاع والإلمام فحسب ، بل انعكست أيضاً على بذل العلم ونشره وتقريبه إلى الأذهان .

ألفّ كتابه ((الشامل في علوم القرآن)) [1] أثناء دراسته لعلوم القــرآن الكــريم وذلــك مساهمة منه في التعريف بهذه العلوم ونشرها ومجاراة للتيار السائد في عصره وخدمة لطــلاب العلوم الدينية .

وهذا كتابه ((أدب الكتاب)) وطريقته في تحليل مواده يدل على مدى تعمقه الواسع فــي علوم القرآن ولغاته وألفاظه ومعانيه، فقد تضمن العديد مــن الــشواهد القرآنيــة فــي مختلــف الموضوعات.

تتلمذ الصولي على كبار أئمة الحديث ، وانتظم في حلقاتهم بالمساجد ودور العلم ، نقــل عنهم وروى لهم وفسر ما رووه ، وتقول المصادر القديمة إنه ألف ((جزءاً في الحــديث))[2]. من مروياته ، ويقول الصولي بأنه وضع ((كتباً في الحديث)) [3] وليس جزءاً فقط .

أما مجالس الصولي ، فقد ذكر أنه كان يجلس في أخريات أيامه في أحد مساجد واسط[4] سنة 329هــ ليروي الأحاديث ويفسرها ، ولعله فعل ذلك في بغداد أيضاً بعد عودته إليهــا مــن واسط .

اكتسب الصولي ثقافته الفقهية من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد إليهم واستمع إلى آرائهم وتحليلهم لأحكام الشريعة، ثم أعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة في الفقه.

---

(1) الفهرست : 150 ، هدية العارفين : 2\38 .
(2) كشف الظنون : 588.
(3) أخبار أبي تمام : 62 .
(4) أخبار الرضي بالله والمتقي لله : 194 .

فألف ((كتاب العبادة [1])) الذي تناول فيه كل ما يتصل بالعبادة من أحكام ، كما ألف ((كتاب رمضان [2])) وتناول فيه فضائل الشهر الفضيل ثم أعقبه بكتاب آخر أكثر توضيحاً ، ألفه على هيئة أسئلة والإجابة عليها سماه ((سؤال وجواب رمضان [3])) ، تناول فيه أحكام الصيام وفوائده

كما أن القارئ لكتابه ((أدب الكتاب)) يجد فصولاً قيمة عن بعض الأمور الفقهية ، تحدث فيها عن الأموال والجزية والخراج والزكاة وأحكام الأرض ، وغير ذلك من المسائل الهامة التي تتصل بالفقه والشرع ، لكل ذلك وصفَ الصولي ((بالفقيه[4])) .

ونجد أيضاً أن الصولي قد رجع بثقافته إلى العصور السابقة إذ تعمق في شعر الجاهليين ودرس لغتهم ولهجاتهم ، وعرف صورهم وتشبيهاتهم ، وانعكس كل ذلك على نفسه وعلى كتاباته فنجده معجماً ضخماً يجمع فيه العديد من ألفاظ اللغة التي يتناولها مبيناً اختلافها بين القبائل حسب لهجاتها ، فكثيراً ما يتحدث عن لغة تميم ولغة قيس [5] .

أما ثقافته النحوية والصرفية: فمن اتصاله بأساتذة كبار في النحو والصرف من أمثال ثعلب والمبرد وغيرهما، وتدوينه لآراء النحويين ومناقشتهم [6].

ولقد درس الصولي كل ما دار في العصر حول قواعد النحو وأصوله وموضوعاته وعرف رأي العلماء في مشكلاته ، واختلافهم في الآراء واتفاقهم ، وكونه نشأ وعاش في موطن

---

[1] الفهرست : 151 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، هدية العارفين : 2\38 .
[2] الفهرست : 151 ، هدية العارفين : 2\38 .
[3] هدية العارفين : 2\38 .
[4] تاريخ بغداد : 3\431 .
[5] أدب الكتاب : 178 .
[6] انظر أخبار أبي تمام : 7 .

النحو واللغة وتنقل بين مدن العراق المختلفة ، فإنه قد ألمَّ بكل ما تختلف فيه المدرسة البصرية عن الكوفية ، وهو لم يكن سلبياً يأخذ الأمور على علاتها ، بل كان له رأيه الخاص الذي يؤيد هذه المدرسة أو تلك وهو من أتباع المدرسة البغدادية التي كانت وسطاً بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة .

و لإلمامه بعلم النحو ومدارسه ، قام بإعراب بعض دواوين الشعراء ، وذكر بعض ما اختلفت فيه مدارس النحو المختلفة ، حتى لقد وضعه القفطي ضمن أنباه نحاته [1] .

وليس هذا فحسب ، بل إن للصولي استقلالاً فكرياً في تفسير الظواهر اللغوية مستهدياً في ذلك بروح اللغة العربية الأصيلة ، وقد دعاه تعمقه في علوم اللغة المختلفة إلى أن يؤلف كتاباً في ((ما اتفق لفظه واختلف معناه [2])) وأن يشرح بعض دواوين الشعراء المحدثين .

ولقد كان الصولي شاعراً مجيداً ، قدم لنا قصائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها في المديح والغزل واعترف أدباء عصره بشاعريته ومقدرته الفنية [3] .

و كان عالماً بالشعر ، ذواقة له ، عارفاً غثه وسمينه ، فاهماً لأغراضه ومراميه ، وما غمض من معانيه ، عارفاً بقائليه وطبقاتهم ومذاهبهم وأخيلتهم وصورهم ، وقد دفعه هذا الاهتمام بالشعر إلى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين .

---

(1) أنباه الرواة : 3\233 .

(2) هدية العرفين : 2\38 .

(3) معجم الشعراء : 465

ومعرفة الشعر وتذوقه تقتضي الحكم عليه وتقييمه ونقده ، من هنا وجدتْ للصولي آراء وأحكام نقدية رفيعة ، ولاشك أن الصولي اكتسب أصولها من دراسته لقوانين النقد الموضوعة وأحكام النقاد القدامى والمعاصرين .

أما في مجال الشعر ونقده فنجد الصولي متبعاً للأصول والقواعد التي اتبعها النقاد في عصره ، إلا أننا سنجد له آراء خاصة في الشعر وأحكاماً على الشعراء ،و نرى أثرها في تعليقاته وتحليله لعناصر الجمال والذوق في الشعر وفي الحكم على الشعراء من حيث التوفيق في معانيهم وألفاظهم ،نجد من هذه الآراء و الأحكام نماذج رائعة في كتابيه ((أخبار أبي تمام و أخبار البحتري)) وسوف تعرض هذه الدراسة لجهود الصولي النقدية بشكل مفصل في الفصلين الرابع و الخامس.

لم يضع الصولي كتاباً في النقد يبرز آراءه النقدية ، ولكن من تحليله لشعر الشعراء ومعانيهم ، ومقارناته بين أغراض الشعر القديم والحديث ، وحديثه عن السرقات ، وتوثيقه للشعر وإرجاعه إلى أصحابه الحقيقيين ، والحكم بين الشاعرين المتخاصمين المتنافسين ، إثبات أحقية أحدهما في المعنى ، وتأليف المختارات ، من كل ذلك وغيره – فيما ستعرض له الدراسة في الفصول اللاحقة – نستطيع أن نلمس الصولي الناقد الذواقة ، ونحس مدى ثقافته النقدية العريضة فيبرز لنا الصولي كأحد أئمة النقد الأدبي في عصره .

فهذا تلميذه المرزباني قد أكثر من الرواية عنه ، واستشهد بآرائه في نقد الشعر ، حتى إنه قلما يوجد شاعر في الموشح – تناوله المرزباني بالنقد والتحليل – إلا وقد استعان بآراء الصولي

فيه ، وكذلك الأصفهاني في أغانيه ضمن العديد من آراء الصولي في الشعر والشعراء ونقل عنه أخبارهم ومكانتهم ومرتبتهم .

وإذا انتقلنا إلى ثقافة الصولي الديوانية – تلك الثقافة التي تتصل اتصالاً مباشراً بعمله في قصور الحلفاء ، وكتابته لهم وقراءته عليهم – وجدنا أنها الثقافة الرفيعة التي جعلته في الـذروة وأكسبته شهرة واسعة بلغت الأفاق ، وقد تمثلت هذه الثقافة ووضحت في كتابه (أدب الكتاب) [1] ذلك الكتاب الذي ألفه الصولي ليكون نبراساً وهادياً لمن يريدون أن يسلكوا طريق الكتابة ويتعيشوا من ثمار أقلامهم في دواوين الحكومة وقصور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة .

جمع الصولي في كتابه هذا خلاصة فكره وتجاربه وثقافته ، تلك الثقافة التي اكتسبها طيلة نصف قرن أو أكثر ، عاشها في رحاب الخلفاء وانخراطه في سلكهم وعمله في دواوينهم ، وكتابة الرسائل لهم وإليهم ، فجاء هذا الكتاب خير دليل على ثقافته الديوانية الواسعة التي قدمتـه علـى كتّاب عصره ، حتى ارتبط اسم الصولي بكتابه (أدب الكتّاب) كمـا ارتـبط (أدب الكتّـاب) بالصولي الكاتب .

ولم يجعل الصولي هذه الثقافة الديوانية حكراً ، بل نشرها حتى تكـون مـساهمته فـي مجالات المعرفة وفنونها شاملة واسعة ، خصوصاً لمن يؤهلون أنفسهم للعمل الرسمي .

ولاشك أن الذي ساعد على تغذية ثقافة الصولي وتدعيمها واستمرار جريانها ونـضوجها وتمشيها مع تطورات العصر وظروفه هي **مكتبته الضخمة** ، التي زخرت بمـواد عديـدة مـن الثقافات والعلوم والآداب والفنون ودواوين الشعراء .

---

[1] الفهرست : 151 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، كشف الظنون : 48 ، هدية العارفين : 2\39 .

يقول أبو بكر بن شاذان [1]: ((رأيت للصولي بيتاً عظيماً مملوءاً بالكتب وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صنف من الكتب لون ، فصنف أحمر ، وصنف أخضر ، وصنف أصفر وغير ذلك)) .

هذه هي ثقافة الصولي – وهي كما نرى ثقافة موسوعية متنوعة ، مكنته من أن يكون من أوسع أهل عصره معرفة وأغزرهم علماً .

مصادر روايته

حفظ الشعر العربي معارف العرب وأقوالهم، وأيامهم وفضائلهم فمن سعى لمعرفة شيء من ذلك، تحتم عليه أن ينظر أولاً في أشعارهم.

عَرف علماء عصر الصولي وأدباؤه هذه الحقيقة ، فنرى الجاحظ (ت 255هـ) يقول : ((فكل أمة تعتمد على استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها)) .[2]

ويقول ابن قتيبة (ت سنة 276هـ) عن الشعر: ((الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسور المضروب حول مآثرها ، والخندق المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام)). [3]

---

(1) أنباه الرواة : 3\235 ، تاريخ بغداد : 3\431 .

(2) الحيوان : 1\71 .

(3) عيون الأخبار : 2\185 .

ومن هنا كانت أهمية الشعر، وكان الاهتمام بحفظه وروايته، وهي أهمية ترشدنا إلى حقيقة واضحة: أن من يهتم برواية شعر العرب يجب عليه أن يعرف أخبارهم، وأن من يسعى وراء معرفة أخبار العرب يجب عليه أن ينظر في أشعارهم.

وهكذا ارتبط البحث عن الشعر العربي والسعي وراء الأخبار برابط واحد لا انفصام فيه فهما هدفان الطريق إليهما واحد، فإذا ما سار عالم واعٍ أدرك الهدفين معاً.

وعى الصولي هذه الحقيقة وعرفها وأدرك مغزاها ، اعترف بذلك المؤرخون له جميعاً فقالوا : ((كان عالماً بفنون الآداب والأخبار ، جيد الحفظ واسع الرواية)).[1]

ولقد كان لاجتماع هذين الأمرين – حفظه للشعر وأغراضه ومراميه ، ومعرفته بأخبار رواته وقائليه ، أثر كبير واضح في ثقافته وعلمه ، وتذوقه للشعر ، دفعاه إلى العناية بهما وروايتهما ، فوجد أمامه تراثاً ضخماً وأخباراً لا حصر لها ، فكان أن ألف العديد من أخبار الشعراء ، وروى عنهم وعن غيرهم وجمع دواوين الفحول منهم .

فإذا عرفنا أن كل ما في بيئته كان يدعو إلى البحث والنظر والشغف بالأخبار ورواية الأشعار ، وأن مدينته – بغداد – كانت قبلة الأدباء والعلماء والرواة والإخباريين ، وأن التيارات التي حوله كانت تجذبه جذباً إلى الاطلاع والمعرفة ، أيقنا أن كل هذه العوامل دفعت الصولي إلى تقصي الأخبار والأشعار ومعرفة أصلها ومصادرها وحفظها وروايتها .

---

[1] الكامل في التاريخ : 6\324 ، البداية والنهاية : 11\219 ، لسان الميزان : 5\427 .

فبرز الصولي – في عصره – راوية إخبارياً ، شهد بذلك كل المؤرخين وأجمع عليه كل مترجميه .

عني الصولي برواية الشعر منذ عصوره الأولى حتى عصره ، فقد روى الكثير من أبياته ومقطعاته ، وشرح معانيها ومضامينها ، واهتم أساساً بالأبيات التي أثير حولها الخلاف سواء من حيث المعاني أو التشبيهات ، أو فصاحة الألفاظ ودلالاتها ، فنجد في المصادر الأدبية القديمة – وفي كتبه – كثيراً من رواياته ونظراته الثاقبة في الشعر ومعانيه والشعراء وطبقاتهم ، وخير مثال على ذلك كتاب أخبار أبي تمام وكتاب أخبار البحتري .

أما قائمة الشعراء الذين روى لهم الصولي ففيها عدة حقائق :

1- إن القسط الأكبر من عناية الصولي كان موجهاً إلى الشعراء المحدثين خاصة شعراء عصره الذين عاش معهم وتردد على حلقاتهم ، وعاصرهم وعرف أخبارهم ، مثل البحتري وابن الرومي ، وابن المعتز ، ومن سبقهم مثل بشار وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وإبراهيم بن العباس ، ودعبل الخزاعي والعباس بن الأحنف ، وأبي تمام وابن أبي عيينة وغيرهم .

2- لم يهتم الصولي كثيراً بشعراء بني أمية ، فلم يبرز منهم عنده سوى الفرزدق أما جرير والأخطل ، فلم يرو لهما سوى أبيات قليلة في مناسبات مختلفة . ذلك لأنه من أنصار العباسيين ولأنه يرى بالفرزدق شبهاً كبيراً لأبي تمام في صياغة الشعر وصناعته .

3- انصب اهتمام الصولي بالشعر الجاهلي على الفحول مثل امرئ القيس وطرفة ابن العبد وزهير وعنترة والنابغة وغيرهم ، فقد روى لهم أبياتاً في مناسبات معينة ، ووازن بين معنى ومعنى ، وتشبيه و تشبيه ، ولفظ و لفظ .

ويمكن القول إن الصولي لم يترك شاعراً من الشعراء السابقين أو المعاصرين إلا روى له وإذا كان الصولي قد اهتم كثيراً بالشعراء المحدثين ، فإن ذلك كان اهتماماً بالتجديد من ناحية واهتماماً بالجودة الفنية وما استحدثه هؤلاء الشعراء في فن الشعر ومعانيه وتشبيهاته وألفاظه وهذا إلى جانب سهولة توثيق شعرهم والوصول إلى مصادره الحقيقية ، للتأكد من صدق الرواية وصحة نسبته إليهم وسهولة الاتصال برواة عاصروهم وسمعوا منهم .

منهج الصولي في الرواية

ويستطيع الباحث أن يحدد منهج الصولي في الرواية في العناصر الآتية :

- إن روايته لابد أن تتصل بأسانيد أناس معروفين ، مشهود لهم بالصدق والأمانة الأدبية ، أما من وجدهم غير ذلك ، فإنه يرفض روايتهم حتى ولو كانت صحيحة فكان يحرص على ذكر سلسلة إسناد كاملة ، لأنه يعلم تماماً أن درجة الثقة في روايته إنما تتوقف – إلى جانب صحتها – على معرفة أسماء رواته ، إلا أنه كان أحياناً يهمل السند بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين . غير أن ذلك لم يحدث إلا في كتابه التعليمي (أدب الكتاب) الذي توخى فيه توصيل مادته الأدبية إلى أذهان قارئيه بسهولة ويُسر .

- إنه لا يأخذ عن الصحفي – الذي يأخذ العلم من الصحف لا عن أساتذةٍ علماء وهو نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول : إنه رفض الأخبار التي نسبها ابن أبي طاهر إلى المأمون وأحمد بن يوسف ، رفضها لأن روايتها – في رأيه – غير ثقة ، بل إنه جرح ابن أبي طاهر

ووصفه بأنه : ((صحفي ،حاطب ليل، يشترط في كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتي بالردئ ، ويزعم أنه يقلل فيحسن ، ويكثر فيسيء ، ثم يحكي الكذب ويخطئ في التاريخ وفي نسب الشعر[1])) .

- ❖ إنه لا يروي إلا الجديد الذي لا يعرفه الناس، حتى يكون لأخباره صفة الجدة والتشويق، فنراه يذكر من شعر الشعراء ما لا يعرفه الناس [2] ...كما يرفض دائماً أن يؤلف فيما ألف فيه من قبل ، أو تناوله غيره فهو حين شرع في عمل أخبار جرير ، علم أن هناك من يقوم بهذا العمل ، فأعرض عنه ولم يكمله، كذلك حين ألف أخبار الفرزدق لم يأت بشيء مما جاء في النقائض ، أو ذكره غيره إلا ما اتصل بنسبه أو أزواجه فقط .
- ❖ إنه لا يروي ما سهل عليه طلبه وقرب منه وجوده [3] ، وتأكد من صدقه ووصلت به الأمانة الأدبية أن لا يدعي علم ما يجهله ، بل كثيراً ما يذكر صراحة عدم معرفته بخبر ما ويقول : ((ولا أدري كيف صحته [4])) .
- ❖ إن الصولي يتحرى الدقة في روايته للأقوال بألفاظها ، فإن لم يستطع أن ينقل الألفاظ حرفياً قال:((وما حكيت من ألفاظه التي مرت ، وما أحكيه من كلامه بعد ، فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقارب له ، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وأنا أحفظ معناه [5])) .

---

(1) الأوراق – أخبار الشعراء : 210 .

(2) أخبار أبي تمام . : 10 .

(3) أخبار الشعراء : 143 .

(4) أدب الكتاب : 46 .

(5) أخبار الراضي بالله : 18 .

الباب الثاني :

نتاج الصولي ومنهجه في التأليف

- ❖ مؤلفات الصولي الإخبارية .
- ❖ مجموعة الكتب الأدبية واللغوية .
- ❖ منهج الصولي في التأليف .

مؤلفات الصولي

الصولي نموذج فذ من النماذج التي تمثل ثقافة عصره – بكل ما فيه – أصدق تمثيل ذلك أنه ألم بألوان الثقافة العربية على اختلاف مناحيها واتجاهاتها ، ووقف وقوفاً طويلاً على بعض الثقافات الأجنبية الوافدة والداخلة في محيط الفكر العربي الإسلامي والحياة الثقافية آنذاك .

وانعكست هذه الثقافة على حياته التي امتازت بنشاط علمي ضخم ، وضح في كثرة مؤلفاته ومصنفاته ، فقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة التي ترجمت له وأرخت لحياته أن ((له كتباً كثيرة هائلة)) [1] .

ولقد ساعد الصولي على القيام بهذا المجهود الضخم ، سعة ثقافته وغزارة علمه الذي تحدث مؤرخوه عنه طويلاً ، فقالوا : ((كان أحد العلماء البارزين بفنون الأدب ، وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف ، وكان واسع الرواية ، جيد الحفظ ، حاذقاً بتصنيف الكتب)) [2] ووصفوه بأنه الكاتب ، والأديب ، الإخباري ، العلامة ...

إذن الصولي مشهود له من الجميع بسعة الأفق ، وغزارة العلم ، وحسن المعرفة بالأخبار وكثرة التأليف والتصانيف .

ومن خلال ما كتبه الصولي عن نفسه أو عن غيره ، نستطيع أن نعرف أنه ثقف جميع معارف وفنون عصره ، وأدلى بدلوه فيها جميعاً فجاءت مؤلفاته ومصنفاته شاملة لجميع هذه المعارف .

---

(1) الكامل في التاريخ : 6\324 ، البداية والنهاية في التاريخ : 11\219 .

(2) الكامل في التاريخ :6\324 ، البداية والنهاية في التاريخ: 11\219 ، الأنساب : 357 ، وانظر وفيات الأعيان 3\477 ، شذرات الذهب : 2\339 ، مروج الذهب : 1\15 .

مؤلفات الصولي الإخبارية

كتاب الأوراق ... يقول عنه ابن النديم : [1]

((إن الصولي لم يتمه ، والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم ، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز ، وأشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه وأول ذلك : شعر عبد الله بن علي .. وآخره شعر أبي أحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، ويتلو ذلك أشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس ابن علي وولد عمر بن علي ، وولد جعفر بن أبي طالب ، ثم تلى ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده أخبار ابن هرمة الشاعر ومختار شعره ، وأخبار السيد الحميري ومختار شعره وأخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره ، وأخبار سديف ومختاره ...)) .

ومن كلام ابن النديم وغيره من المؤرخين، يتضح لنا أن كتاب الأوراق يشتمل على عدة أقسام، بعضها تاريخية سياسية، تلك التي تتعلق بالخلفاء وأخبارهم ووزرائهم وقوادهم وظروف عصورهم، وما حدث في عهودهم.

وبعضها الآخر تاريخية أدبية، وتراجم لعديد من الشعراء، سواء أكانوا أمراء أم غير ذلك مع إضافة مختارات من إنتاجهم الفني.

إن الصولي لم يجعل تأريخه للدولة العباسية أو لخلفائها تأريخاً صرفاً ، بل أضاف إليه الكثير من اللمحات النفسية والإخبارية العامة والخاصة كما أدخل فيه عنصر الأدب ، فضمنه كثيراً من شعره ومدائحه في الرضي بالله وأيضاً سجل فيه قصائد الرضي في مختلف المناسبات .

---

[1] الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 201 ، 283 ، معجم الأدباء : 19\109 ، وفيات الأعيان : 3\479 .

وللصولي العديد من المؤلفات أذكر منها ((كتاب الوزراء [1] ، أخبار القرامطة [2] كتاب مناقب علي بن الفرات [3] ، أخبار الشعراء ، أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم[4] وأغلب هذه الكتب من المفقودات)) .

ومن أهم كتب الأخبار الموجودة (كتاب **أخبار أبي تمام**[5]) ؛ لما له من قيمة فنية ضخمة ففيه أخبار كثيرة ونظرات نقدية صائبة انفرد الصولي بها ، فقدم لنا من خلالها معلومات وآراء وأخباراً ذات قيمة عظيمة تجلى جوانب مهمة من حياة أبي تمام وشعره وثقافته ومقدرته الفنية وعلاقاته مع غيره من الشعراء والممدوحين والنقاد .

وكتاب أخبار أبي تمام يعد من أمّات الكتب التي أرخت لأولية الصراع الناشئ بين مذهبي الصنعة والطبع ، كما أن فيه أخباراً كثيرة انفرد الصولي بذكرها ، وأبياتاً من الشعر لم ترد في دواوين أصحابها [6] .

---

[1] الفهرست : 150 ، كشف الظنون :1469 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، هدية العارفين : 2\ 38 .

[2] وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، الأعلام : 8\4 .

[3] الفهرست : 150 ، هدية العارفين : 2\ 38 .

[4] الفهرست : 150.

[5] الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 1469 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، هدية العارفين : 2\ 38 .

[6] الأستاذ أحمد أمين . مقدمة كتاب أخبار أبي تمام للصولي .

ومن أهم الكتب التي قام بتأليفها الصولي أيضا كتاب **أخبار البحتري** إذ ألقى لنا الصولي من خلاله الضوء على الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة له ، فنرى الصولي يؤرخ لمعارك النقــد الكبرى التي قامت بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ، التي أصبح النقد معها منهجيــاً عنــد العرب [1] .

وللصولي من كتب الأخبار أيضاً : ((أخبار إبراهيم بن المهدي[2] ، أخبــار الــشعراء[3] أخبار أبي نواس [4])) .

الكتب الأدبية واللغوية

أدب الكتّاب [5]

كتاب صغير الحجم ألفه الصولي في عهد الرضي بالله [6]، ويحتوي على معلومات جمة ومباحث ومواد لغوية وأدبية تفيد الكاتبين وتعينهم على أداء عملهم في الدواوين ، وتمدهم بالعديد من ألوان الثقافة الإسلامية العربية والدينية ، وقد شاع هذا النوع من الأدب شيوعاً كبيــراً فــي عصر الصولي وما بعده وسبقه أدباء آخرون ألفوا للكتاب رسائل وكتباً .

---

(1) النقد المنهجي عند العرب : 130 .

(2) الأعلام : 8\4 .

(3) كشف الظنون : 27 ، هدية العارفين : 2\38 .

(4) كشف الظنون : 774 .

(5) الفهرست : 150 ، كشف الظنون : 1469 ، وفيات الأعيان : 3\477 ، الكامل في التاريخ : 6\324 ، هدية العارفين : 2\ 38 .

(6) يدل على ذلك كلام الصولي نفسه في فصل ما يتكاتب به الناس اليوم ص 163 ، وفصل الحض على التكاتب ص 166 .

رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك

رسالة أدبية نقدية بليغة ، ألفها الصولي في فضل أبي تمام وشعره ، وقــدم بهــا لعملــه المتكامل الذي يتصل بأبي تمام ، وقد جمع أخباره ثم قدم لنا ديوانه مرتباً على الحروف الهجائية ، ثم شرح هذا الديوان ، تحدث فيها عن أغراض الشعر وفنونه وقارن بين الأغراض القديمة عنــد الجاهليين ثم عند المحدثين ، تحدث عن الألفاظ والمعاني والتشبيهات ثم انبرى للدفاع عن أبي تمام فذكر ما عابه النقاد عليه ثم فند مزاعمهم وتعرض بالتحليل لمذهبي الــصنعة والطبــع وقــانون السرقات وما تواضع عليه القوم [1] .

منهج الصولي في التأليف

رأينا مؤلفات الصولي ومصنفاته ، وهي كثيرة متنوعة وفي مجالات شتى ومنها نعــرف أن الصولي كان موسوعة علمية تمثل أرقى معاني الثقافة وأشمل آثارها في عصره ، ومن خلال هذه المؤلفات والمصنفات ، نستطيع أن نحدد المنهج الذي اتبعه الصولي فــي إخراجهــا : ذلــك المنهج الذي يمكن أن يتلخص في العناصر الآتية :

- **التعويل على الروايات**

عوّل الصولي كثيراً على الروايات ، فقد اعتمد على رواية الرواة في أكثر ما دونه عــن الشعراء والوزراء والكتاب وغيرهم – خصوصاً عن أولئك الذين لم يعاصرهم – وعند الصولي لابد أن يكون الراوي ثقة مشهوداً له بين معاصريه بالأمانة والصدق ، لذلك رفض الــصولي أن

---

[1] رسالة الصولي إلى مزاحم – أخبار أبي تمام : 5 .

يأخذ عن أصحاب الصحف ، ولم يعتد إلا بما سمعه من أفواه الرجال[1] وفي جميع الأحوال لا بد أن يستقصي الأخبار ويتأكد من صحتها .

وكثيراً ما يدلي الصولي بآرائه حول روايته خبراً ما ، وقد يرجح رواية على أخـــرى أو يذكر الروايات المتعددة للخبر الواحد ، مثل روايته في ذكر حديث بين رسول الله عليـــه الـــسلام وصهيب [2]، وقد يضيف إلى الرواية تعليقاً من عنده ، أو يوضح أمـــراً ورد فيهـــا ، فيقـــول : (قال أبو بكر) أو (قال الصولي) ثم يذكر تعليقه .. والأمثلة على ذلك متعددة في كتبه .

❖ الحرص على ذكر سلسلة الإسناد

كان الصولي دائماً يحرص على ذكر سند رواياته موصولاً إلى صاحبه ، تماماً مثلما كان يفعل علماء الحديث فيقول : حدثني فلان قال حدثني فلان ... عن فلان أنه قال[3]...أو يقـــول : حدثني بعض من يخبر الأمر[4]أو حدثني من أثق به [5]أو أنشدني يوماً فلان [6]، أو كنا يوماً عند فلان ... فسمعت[7].. وإذا اشترك معه في السماع آخرون ، قال : حدثنا فلان ... وذكر السند إلى مصدره الأول .

وحرص الصولي على السند المتصل في الرواية المأخوذ من أفواه الرجال الثقـــات ،لـــم يمنع من أنه اعتمد في بعض الأحيان على النقل من كتب أو مخطوطات أو رسائل مكتوبة بخـــط

---

(1) أدب الكتاب : 46 .

(2) أخبار المتقي لله : 216 .

(3) أخبار الشعراء : 166 .

(4) أخبار الراضي : 192 .

(5) المصدر نفسه : 193 .

(6) المصدر نفسه : 60 .

(7) المصدر نفسه . 61

رجل ثقة يعرفه تمام المعرفة ، فنراه يذكر ذلك فيقول : وجدت بخط فلان [1] أو رأيت بخط فلان أو كتب إليّ كاتب له [2].

والسند قد يقل عند الصولي ، أولا يذكر في الأحداث أو المناسبات التي رآها بنفسه وسمع ما فيها ، وقد يحذفه في بعض الأحوال بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين ، مثلما فعل في كتابه ((أدب الكتّاب)) .

❖ إضافة الآراء الشخصية

كان الصولي دائماً وفي كل مؤلف من مؤلفاته حريصاً على ذكر آرائه الشخصية ، فيما يراه من أحداث ، أو فيما يكتبه عن الشاعر أو الكاتب .

أما تأريخ الصولي للأدب ، وتناوله لتراجم الشعراء ، فقد كان يحرص دائماً على ذكر آرائه في الشعراء وفي إنتاجهم الفني ، كتفضيل شاعر ، أو معنى على معنى وينتقد هذا الشاعر لأن معناه اختل ، أو لأنه أخذ معنى أو لفظاً من غيره .

وقد يصف شاعراً بأنه مُقل أو مطبوع ، وفي المقارنة بين شاعرين ينسب الشعر إلى أحدهما لأنه أجاد في المعنى وأبلغ في التعبير .

---

[1] أخبار الشعراء : 156 .

[2] المصدر نفسه : 214 .

الفصل الثالث

الباب الأول

منهج الصولي النقدي وآراؤه النقدية

- المقارنات .
- السرقات.
- سرقات البحتري من أبي تمام .
- موقفه من اللفظ والمعنى.
- موقفه من الشعر وعلاقته بالدين .

التمهيد :

ناقش أبو بكر الصولي عدداً من القضايا النقدية ، وقد وجدنا هذه القضايا مبثوثة في ثنايا مؤلفاته وخاصة في كتابي ((أخبار أبي تمام وأخبار البحتري)) ويمكن أن نجملها بما يلي :

المقارنات .السرقات. سرقات البحتري من أبي تمام ، موقفه من اللفظ والمعنى. موقفه من الشعر وعلاقته بالدين .

وستناقش الدراسة في هذا الفصل كلاً من هذه القضايا بشيء من التفصيل ، إذ ستوضح الدراسة نص المنهج النقدي عند أبي بكر الصولي في هذه القضايا موضحة جهوده النقدية الخاصة وتأثره بمن سبقه من النقاد ، وماذا أضاف أبو بكر الصولي إليهم بشكل خاص وللعملية النقدية بشكل عام.

والجدير بالذكر أنه منذ نشأة الشعر العربي قامت مقارنات وموازنات فطرية كثيرة تفضل شاعراً على شاعر أو معنى على معنى ، أو لفظاً على لفظ ، ثم تطورت هذه المقارنات والموازنات ووضحت ونضجت مع مرور الزمن وتعاقب العصور ، حتى إذا وصلنا إلى عصر الصولي ظهر فيها أثر العصر والثقافة والحضارة ، وتأثير ذلك كله في الذوق والفهم والتقدير والحكم .

ففي عصر الصولي تعمق الناس في تذوق الأدب وفهمه وتحليله ، فوازنوا بين شاعر وشاعر ، وشعر وشعر ، ومعنى ومعنى ... بل ولفظ وآخر ... فكان النقد في عصره أكثر تعمقاً وأحسن حكماً من العصور التي سبقته بتأثير الحضارة وتفتق القريحة العربية ونضوج عقليتها

وتأثرها بما داخلها من ثقافات، وما ارتبط بذلك من تطور للحضارة وارتفاع لمستوى الحياة الثقافية والفكرية.

وإذا كان الأدب يخضع للبيئة والثقافة ، ونوع الحكم ، وظروف الدولة ، فإن النقد من الطبيعي أن يتطور بحيث يتلاءم مع الأدب في كل ظروفه ، وما يخضع له من مؤثرات ثقافية واجتماعية .

ولقد قامت قبل عصر الصولي معارك أدبية ونقدية كثيرة ، ولكن هذه المعارك وصلت أشدها في عصر الصولي وما تلاه ، ولم يكن من الطبيعي أن يعيش الصولي في هذه المعارك دون أن يشارك فيها ، خاصة وأن شيوخه وأساتذته من أمثال المبرد وثعلب وغيرهما كان لهم مساهمتهم فيها ، والمشاركة في رحاها ، كما أن بعض علماء عصره من أمثال الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وقدامة بن جعفر والآمدي أدلوا بآرائهم وتناولوها في كتبهم ومؤلفاتهم ، فزادوا في إشعال هذه المعارك النقدية حول الشعر والشعراء ، فنرى الصولي يدخل في رحى هذه المعارك مثبتاً وجوده وجهوده وآراءه فيها .

وليس من السهل أن نتلمس منحى الصولي في النقد ، وطريقته في فهم النصوص وتذوقها والحكم عليها لأن الصولي لم يؤلف في النقد كتاباً خاصاً كما فعل علماء عصره ، ولكن نلتمس ذلك من خلال ما تناوله في مؤلفاته ومصنفاته التي تناول فيها تراجم الشعراء وأخبارهم ومختاراتهم الشعرية ، وأيضاً من خلال رسائله الأدبية حول الشعراء ومكانتهم وشاعريتهم وكذلك من خلال كتب النقد والأدب والموازنة التي ألفت في عصره وبعده ، وتناولت آراء الصولي ونظراته النقدية في الشعر والشعراء ، وأدب الأدباء من أمثال الموشح وزهر الآداب

وغيرهما يمكن أن نقف على جهود الصولي النقدية وطريقته في فهم النصوص وتذوقها والحكم عليها .

ظهر منحى الصولي في النقد الأدبي من خلال آرائه ونظراته ، وما تناوله بالتحليل والتقييم من شعر الشعراء على اختلاف عصورهم وشاعريتهم ، ومقدرتهم الفنية ، ومذهبهم الشعري .

لم يؤلف الصولي في النقد كتاباً خاصاً ، ولم يضع له ضوابط ومعايير شأن غيره من النقاد المعاصرين ، فلم يتناول النقد من الناحية النظرية كما فعل ابن قتيبة ، ولم يضع الشعراء في طبقات كما فعل ابن سلام والجاحظ [1] وابن المعتز ... بل تناول الصولي النقد من الناحية التطبيقية العملية من واقع الشعر وفنونه ، وأغراضه ومعانيه وألفاظه ، وإن كنا نجد بعض الآراء النظرية في بعض نواحي النقد .

يقوم نقد الصولي أساساً على تحليل الشعر وتبيين مواطن الجمال والقبح ، والجودة والرداءة وعقد المقارنات بين الشعراء ومعانيهم وأغراضهم ، وتحليل عيوبهم وسقطاتهم ، كما يقوم أيضاً على عرض سرقات الشعراء من بعضهم بعض ، وإرجاع المعاني إلى أصحابها محدداً من التابع ومن المتبوع ، ومن منهما أحق بالمعنى .

ويتجلى نقد الصولي في تناوله أخبار المحدثين وأشعارهم وتجديدهم ، ومذهبهم الفني وألفاظهم وأساليبهم وصورهم وأخيلتهم وتشبيهاتهم ، متخذاً من أبي تمام وسيلة ورمزاً في الدفاع عنهم .

---

[1] يقول الجاحظ : ((طبقات الشعراء ثلاثة : شاعر وشويعر وشعرور ...)) البيان والتبيين : 1\21 .

وكثيراً ما يتناول الصولي بالنقد العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وطريقة التعبيـــر ، ونجـــاح الشاعر في توصيل رؤاه ، وأيضاً نجاحه في أن يكيف ألفاظه تبعاً لمعانيه وأغراض الشعر التي يتناولها ، فيتحدث عن وجوب ائتلاف اللفظ مع معناه . فالفخر مثلاً يناسبه الألفاظ الجزلة التـــي تملأ الفم ، ذات الجرس القوي ، والغزل يناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة ، والرثاء يناسبه الألفـــاظ ذات الموسيقى الهادئة التي تنم عن الحزن والألم .

ويرى الصولي أن المعاني الجيدة التي يأتي بها الشعراء ، لا بد وأن تـــأتي مـــن واقـــع تجربتهم الإنسانية وما صادفوه في الحياة .

1- المقارنات

تأتي أهمية المقارنات كقضيةٍ نقديةٍ، من حقيقة أن ما من قارئٍ للشعر إلا ويقوم بعملية المفاضلة والمقارنة بين ما يقرؤه وبين ما تختزنه ذاكرته الأدبية، بالإضافة إلى كونها من القضايا الأدبية التي امتاز بها النقد العربي القديم، فأخذت مكاناً بارزاً فيه،إذ تشير المؤلفات النقدية القديمة وكتب تأريخ الأدب العربي، إلى أن البدايات الأولى للنقد الأدبي عند العرب، نشأت كموازنات أدبية عفوية بين الشعراء، ولعلها كانت انعكاساً لظواهر العصبية في نظامهم الاجتماعي، إذ إنهم كما نعلم، كانوا يتفاخرون بشعرائهم، ويتفاءلون بولادة الشاعر في قبائلهم. فأسواق الشعر كانت تُعقَد بها تلك المقارنات، والمؤلفات النقدية القديمة كانت تزخر بها، مثل كتب الطبقات، والمنتخبات والموازنة بين الشعراء .

وقد أذكت نار المقارنات تلك، قضايا ذات أهمية في النقد، منها ظهور شعراء النقائض وظهور الشعراء المجدِّدين، وبزوغ المعارك النقدية، مثل المعركة التي دارت حول إرجاع الجودة للفظ أم للمعنى، وبين أنصار الطبع والصنعة، أو بين أصحاب عمود الشعر ومذهب البديع، وتُعَدُّ الموازنة، وهي جزء من منهج المفاضلة بين الشعراء، الشكل التطبيقي للنقد الذي يهدف إلى التقويم والحكم على أعمال النقَّاد، وما يُميِّز هذه القضية أن أكثر النقَّاد في التاريخ العربي قد وازنوا بين الشعراء، وهذا ما أدى بموازناتهم التي كانت تعتَمد معايير ذوقية، لأن تذهب باتجاه التعليل.

ومن أهم النقَّاد الذين قاموا بالموازنات في كتبهم النقدية، **محمد بن سلام الجمحي** إذ يعد أسبق من عرضوا للموازنة في كتابه طبقات فحول الشعراء ، إذ جعله هؤلاء الشعراء طبقات قام على الموازنة الفنية .

و جاء **ابن قتيبة** في كتابه الشعر و الشعراء فظهرت الموازنة عنده في اختياره لكل شاعر ما يراه جيدا و في تقسيمه الشعر أقساما فنية أربعة ، و الشعراء إلى مطبوعين و متكلفين وفي غير ذلك .

ويُشكِّل «**الآمدي**» علامةً واضحةً في اهتمام النقَّاد بقضية الموازنة بين الشعراء، ولاسيما أن كتابه النقدي حمل اسم «الموازنة بين الطائيين»، ومن جانبٍ آخر، فقد حاول أن يضع منهجاً للموازنة بين «أبي تمام والبحتري»، وقد كان منهج «الآمدي» في موازنته بين «أبي تمام والبحتري » معتمداً بشكلٍ رئيس، على تصنيف كل ما قالاه في معنى من المعاني، ثم إصدار الحكم.

أما «**القاضي الجرجاني**» فهو يعتمد مبدأ المقايسة في مقارناته بين «المتنبي» وغيره من الشعراء.

تناول «**أبو بكر الصولي**» هذه القضية في كتاب أخبار أبي تمام و كتاب أخبار البحتري وتلك الموازنة تضع أبا تمام على قمة الهرم الشعري في عصره . إذ يمتاز نقد الصولي بكثرة المقارنات ، وهو ما يمكن أن يسمى بالنقد التطبيقي العملي .

ويمكن القول إن المقارنات عند الصولي تتسم بالسمات الفنية الآتية :

أولاً : **يقارن بين مجموعة من الشعراء من عصر واحد، تناولوا الموضوع نفسه ويبين أيهم أجاد فيه و أيهم اختل.**

(أ)- فيقارن بين قول طرفة بن العبد وحسان بن ثابت وعنترة العبسي وزهير بن أبي سلمى حول موضوع ارتبط في الجاهلية بالكرم والشجاعة وهو ((موضوع الشرب)) يتناول الصولي قول طرفة [1] :

ُسْدُ غيلٍ فإذَا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كلّ أمُونٍ وطِمِرْ[2]

فيقول: ((فجعل عطاءهم عند الشرب)) وتبعه حسان بن ثابت فقال: وهو أعيب من الأول :

نُولِّيهاَ الملامةَ إنْ ألمنَا إذا ما كان مَغثٌ أو لحاءُ[3]

ونشربُها فتتركُنا ملوكاً وأُسداً ما يُنهنهنا اللِّقَاءُ

فقول طرفة خير من هذا لأنه قال ((أسد غيل فإذا ما شربوا ...)) فجعل لهم الشجاعة قبل الشرب، وحسان قال: نشرب فنشجع، ونهب كأنا ملوك إذا شربنا فلهذا كان قول طرفة أجود.

ويستطرد الصولي قائلاً : وقول عنترة أحسن ، لأنه أحترس من عيب الإعطاء على السكر وأن السكر زائد في سخائه فقال :

وإذا شَربتُ فإنني مُسْتهْلكُ مالي وعرضي وافرٌ لم يُكْلَمِ

---

(1) الموشح : 58 ، أخبار البحتري : 176 ، الشعر والشعراء : 1\ 147 .

(2) أمون : الناقة التي يؤمن عثارها ، والطمر : الفرس الطويل المشرف .انظر لسان العرب مادة أمن ومادة طمر . انظر العقد الثمين : 11 .

(3) المغث : الحمى ، ورجل ممغوث : أي محموم ، وأصل المغث المرس والدلك . انظر مادة مغث : لسان العرب . انظر ديوان حسان بن ثابت :8 .

أي إذا شربت الخمر فإنني أهلك مالي بجودي ، ولا أشين عرضي وحسبي ببخلي فعنترة يفتخر بشربه لأنه يحمله على محامد الأخلاق ،ثم يذكر الصولي أن زهيراً تفوق على الجميع حين قال :

أَخي ثِقة لا تُهْلكُ الخمْرُ مالَهُ　　　ولكَّنه قدْ يُهلك المال نائلُه[(1)]

فهذا من أحسن الكلام، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذله للحمد.

(ب)- ويقارن الصولي أيضاً بين شعر النابغة الذبياني وشعر امرئ القيس وشعر الطرماح في وصف طول الليل[(2)] وتأثير ذلك على نفسية كل منهم ، ومدى توفيق كل شاعر في التعبير عما يعتمل في نفسه من أحاسيس وما يكبته من شجن . فيتناول قول النابغة :

كليني لهِّم يا أُميمة ناصبِ　　　وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكبِ[(3)]

تطاول حتَّى قلتُ ليس بمنقضٍ　　　وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همةٍّ　　　تضاعف فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ

وقول امرئ القيس :

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُوله　　　عليَّ بأنواع الهُمُوم ليبتلي

فقلتُ له لما تمطىَّ بصُلبه　　　وأردف إعجازاً وناء بكلكلِ

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجل　　　بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

فيالك من ليلٍ كأنَّ نجومهُ　　　بكُلِّ مغار الفتل شُدَّتْ بيذبلِ[(4)]

---

(1) العقد الثمين : 46 .

(2) الموشح : 33 .

(3) ديوان النابغة : 9 .

(4) يذبل : جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لباهلة، انظر العقد الثمين : 97 – 98 .

ويعقد بينهما مقارنة أدبية نقدية ، ويحلل الصورتين تحليلاً جميلاً يبين دقائق المعنى وملابساته ، مبيناً مواطن الجمال ودقة التعبير يقول : فأما النابغة فقوله : ((وصدرٍ أراح الليل عازب همه)) فإنه جعل صدره مألوفاً للهموم وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها ، وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس)) .

((والمبتدئ بالإحسان فيه امرؤ القيس ، فإنه بحذقه وحسن طبعه ، وجودة قريحته ، كره أن يقول : إن الهم في حبه يخفف عنه في نهاره ، ويزيد في ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه ، وجزعه وغمه ، فقال : ((ألا أيها الليل الطويل ....)) فأحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه، وإن كانت العادة غيره، والصورة لا توجبه)) [1].

ثم يتناول الصولي قول الطرماح في هذا الموضوع ويقول : إنه اتبع امرأ القيس ثم أراه استحالة معناه في المعقول ، وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به حتى لو كان الرد عليه من حذق المتكلمين ، فإنه ابتدأ القصيدة فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أصبحِ ... بِبَمَّ وما الإِصَبْاحُ فيكَ بأرْوَحِ

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجاً مستدركاً فقال :

بلى إنَّ للعينين في الصبح راحة ... لطِرْحِهما طَرْفيهْما كل مَطْرَحِ

فأحسن في قوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفع ، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره ، وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل وشدة كلفهم لقلة المساعدة وفقد الحبيب ، وتقييد

---

[1] الموشح : 32 .

الحظ عن أقصى مرامي النظر الذي لا بدّ أن يؤدي إلى القلب بتأمله سبباً يخفف عنه ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه.

ويواصل الصولي كلامه فيقول[1] : وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبياتٌ اشتمل الإحسان عليها، ولاح الحذق فيها ، وبان الطبع بها ، فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند أمراء الكلام والحذق بنقد الشعر وتمييزه ، والعيب قوله :

فقلتُ لهُ لما تمطّى بصلبهِ وأردف إعجازاً وناءَ بكلكلِ[2]

فلم يشرح قوله : فقلت له ما أراد، إلا في البيت الثاني، فصار مضافاً إليه متعلقاً به، وهذا عيب عندهم، لأن خير الشعر ما لم يحتجْ بيت منه إلى بيتٍ آخر[3] وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية .

ومن الواضح أن الصولي في هذا الموضوع يتحدث وبشكل مباشر عن موضوع وحدة البيت الذي يختلف تماماً عن الوحدة الموضوعية للقصيدة .

والمقصود في وحدة البيت هنا الذي أشار إليه الصولي من خلال باب المقارنات : أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره لإتمام معناه . وعلى هذا الأساس نجد الكثير من الأحكام الصادرة حول أشعر بيت وأمدح بيت وأهجى بيت، ولقد تناول النقاد هذه القضية بالتفصيل وكان الخلاف حول وحدة البيت كغيرها من القضايا التي وجد فيها تباين في الآراء بين مؤيد ومخالف.

---

[1] الموشح : 36 .
[2] العقد الثمين : 97 .
[3] الموشح : 36 .

ثانياً : **ويقارن الصولي بين ما قالته مجموعة من الشعراء من عصور مختلفة تنـــاولوا موضوعاً واحداً :**

(أ) فيقارن بين قول زهير بن أبي سلمى من الجاهليين وقول أبي تمام والبحتـــري مـــن المحدثين حول موضوع استبشار المسؤول وانفراج أساريره ، وبشاشة وجهه حينما يُسأل حاجة أو معروفاً .

فنرى الصولي يثبت السبق في المعنى لزهير ، وأن أبا تمام قد تبعه وغيره من الشعراء فيقول [1] : « وأول من أتى بفرح المسؤول وطلاقة وجهه ، ثم أخذ الناس فولدوه فقالوا : السؤال أحلى عنده من الغناء ، وراجيه أحبُّ إليه من مُعطيه ، زهير قال :

تراهُ إذا ما جئته مُتهــلِّلاً   كأنك تعطيهِ الذي أنتَ سائلُه[2]

ثم أخذ المعنى أبو تمام فقال :

ومُجرَّبون سقاهُم من بأسهِ   فإذا لَقــُوا فكأنهم أغمـــارُ[3]

فتبعهما البحتري فقال :

مَلكٌ له في كل يومِ كريهةٍ   إقدامُ غرٍ واعتزام مُجَــرِّبِ[4]

---

[1] أخبار أبي تمام : 81 .
[2] العقد الثمين : 46 .
[3] ديوان أبي تمام : 126 .
[4] ديوان البحتري : 87 .

(ب) ويقارن الصولي بين اعتذار النابغة الذبياني إلى النعمان ، واعتذار سلم الخاسر إلى المهدي .ويضع الاعتذارين جنباً إلى جنب ، وكأنه يقول : إذا كان النابغة الذبياني قد برع وتفنن في الاعتذار للخروج من مآزقه حتى عرف به ، فإن من المحدثين من تناول هذا الموضوع وهو وإن لم يتفوق على النابغة ، فإنه لن يقل عنه .

ويأتي الصولي بشعر الرجلين ، فيسرد اعتذار النابغة إلى النعمان الذي يقول فيه [1] :

فإنك كالليــل الــذي هو مُدركــي   وإن خِلتُ أن المُنتأى عنكَ واسعُ

خطا طيفُ حجنٍ[2] في حبالٍ متينةٍ   تمُدُّ بها أيد إليكَ نــوازِعُ

فيصفه بأنه كالليل المنشور الذي أرخى سدوله على جميع الكائنات ، فليس هناك مفر أو مهرب من ظلمته وحلوكته مهما بعد المطاف واتجهت السبل ، ويستخدم النابغة تشبيهاتٍ وألفاظاً من البيئة الصحراوية التي يعيش فيها مثل (خطاطيف ، حُجن ... حبال متينة).

ثم يأتي الصولي باعتذار سلم الخاسر إلى المهدي الذي يقول فيه :

إني أعوذُ بخير الناس كُلِّهــمِ   وأنت ذاك بما تأتي وتجتنبُ

وأنت كالدّهر مبثوثاً حبائلــهُ   والدهرُ لا ملجأ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عنان الريح أصرفهُ   في كل ناحيةٍ ما فاتك الطَّلبُ

حيث ربط سلم بين الخليفة المهدي وبين القدر الذي لا رادَّ لقضائه ،فنراه يــستعيذ بــه وبعفوه ، ويقول له أنت قدري الذي لا مفر منه ، ولا ملجأ سواك نفسك ، فمهمــا بعــدت عنــك

---

[1] المصدر السابق : 20 .

[2] خطاطيف حجن : كل حديدةٍ حجناء ، والخطاف هو الذي يجري في البكرة إذا كانت من حديد ، ومخالب السباع خطاطيفها . انظر ديوان النابغة : 7 .

وصلت إليّ ، وقدرت عليّ حتى ولو ملكت تحريك الرياح التي يمكن أن تطير بي في كل اتجـــاه فطلبك لي لا يصعب عليك ، وسيصلني انتقامك حيثما كنت فلن يحميني من سطوتك إلا رحمتــك ومن غضبك إلا عفوك .ونرى سلم يربط بين المعاني الإسلامية وبين وضعه الذي لا يحمد عليه، والذي من أجله يقدم الاعتذار.

ويقرر الصولي : إن المحدثين حقيقة أخذوا من معاني الشعراء القدماء وتناولوا أغراضهم ولكنهم طوروها بما يتناسب مع عصورهم وحضارتهم ، فزادوا عليها وزخرفوها ببديعهم فتم لهم المعنى ، فصاروا أحق بهذه المعاني .[1]

(ج) ويتناول الصولي موضوع (حب الأوطان والتشوق إليها) عند شعراء من عــصور مختلفة ليبين أثر ذلك على شاعريتهم وعواطفهم وحنينهم إلى مسقط رأسهم :

فيقارن بين شعر لأعرابي أو أعرابية في الجاهلية، وشعر ابن ميادة المخضرم (149هــ) وشعر ابن الرومي مبيناً أن الشعر يتأثر بالبيئة والثقافة والعصر، وأن المحــدثين يميــزهم عــن غيرهم، ثقافتهم الواسعة وبيئتهم المتحضرة.يقول الصولي [2] : ((وأحسن ما قــال الأوائــل فــي الأوطان ومحبتها والتشوق إليها :

بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي وأول أرضٍ مسَّ جلدي تُرابها[3]

فالشاعر يربط بين وطنه الذي نشأ فيه ، وبين الأرض التي هي مرتع شبابه ، ثم يتنــاول الصولي قول (ابن ميادة) مبيناً كيف تطور هذا المعنى عنده ووضح حيث قال :

---

(1) أخبار أبي تمام : 54 .

(2) المصدر نفسه :22- 23 .

(3) البيت لأعرابي أو أعرابية من طيء .

ألا ليت شعــري هــل أبيتنَّ ليلــةً　　　بحَّــرةِ ليلــىَ حيــثُ ربينـــي أهلـــي

بـــلادٌ بـــها نِيطتْ علـــيَّ قلائـــدي　　　وقُطِّعن عنـــيِّ حين أدركـــني عقلـــي

فإن كنتَ عن تلك المواطن حابسي　　　فأفشي عليَّ الرزقَ واجمع إذن شملي

يتمنى الشاعر أن يزور موطنه ليقضي ليلة يتذكر فيها أهله ومرباه ومهيع شبابه ، حيث ارتبط بهذه الأرض ، ولكن شاء القدر أن يبعده عنها من أجل الرزق وطلب العيش .

ويقول الصولي : فجاء ابن الرومي فذكر الوطن وبين العلة التي يحب الــوطن لأجلهــا وجمع ما فرقوه في أبيات فقال :

ولـــي وطنٌ آليــتُ ألاَّ أبيعــه　　　وألاَّ أرى غيري لهُ الدّهرَ مالكــاَ[(1)]

عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً　　　كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالكـــا

فقــد ألفتْهُ النفــسُ حتى كأنَّهُ　　　لها جسدٌ إنْ غابَ غُودرتُ هالكا

وحبَّبَ أوطـــانَ الــرِّجالِ إليهمِ　　　مآربُ قضَّاها الشبابُ هُنالكـــا

إذا ذكَرُوا أوطـــانهمُ ذكَّرتهُـــمُ　　　عُهُودُ الصِّبا فيها فحنُّوا لذَلكـــا

فربط ابن الرومي بين وطنه وصباه ، وشبابه وحبه ، الذي نعم به فترة من الزمن كانت بالنسبة له كالأحلام ، وأن هذا الوطن بالنسبة له مكمل لنفسه ، كما تكمل الروح الجسد ، ويـــربط ابن الرومي أيضاً بين وطنه وحبه ذكرى الأيام الجملية التي قضاها بين أحضانه ، حتى لقد أصبح هذا الوطن يُذكرهُ بذكرى عهود الصبا وعهود الغرام التي طالما يحن إليها المرء .

---

(1) ديوان ابن الرومي : 95 .

ويقول الصولي[1]: وإنما جئت بابن الرومي لأنه ممن رأيت وشاهدت ، وهو أقرب المحسنين عهداً وآخرهم موتاً ، ولو ترفعتُ إلى أبي تمام ومسلم وأبي العتاهية وأبي نواس وبشار لرأيت مثل هذا كثير.

ثالثاً : يقارن الصولي بين ما أخرجته قريحة شاعرين محدثين حول معنى واحد .

فنراه يقارن بين ما أخرجته قريحة أبي تمام وقول أبي نواس حول معنى تداول كثيراً بين الشعراء وهو (الإفراط في الإعطاء) .

يقول أبو تمام [2] :

ما زال يهدي بالمواهب دائباً   حتى ظننَّا أنَه محْمُومُ

وقول أبي نواس :

جُدْتَ بالأموالِ حتَّى   قِيلَ ما هذا صحيحُ

ويقول : ((إن شعر أبي تمام أجود في معناه : لأن المحموم أحسن حالاً من المجنون لأن هذا يبرأ فيعود صحيحاً كما كان ، والمجنون قلما يتخلص من مرضه ، فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل بإكثار المحموم ، أعذر من أبي نواس إذ شبهه بفعل المجنون ، فلهذا كان معنى أبي تمام أجود)) [3] .

رابعاً : وفي موضوع التشبيه يقارن الصولي بين تشبيهات القدماء وتشبيهات المحدثين

---

(1) أخبار أبي تمام : 25 .

(2) أخبار أبي تمام : 25 ، ديوان أبي تمام : 266 .

(3) أخبار أبي تمام : 32 .

ونرى الصولي يدلي بدلوه في مجال البلاغة ويقارن دون تعصب لفريق منهم ضد فريق آخر ، ولكنه قصد إلى إظهار أن الأوائل إذا كانوا قد شبهوا فسبقوا وأحسنوا ، فإن المحدثين أيضاً لا يقلون عنهم مقدرة وفناً ، أن لم يتميزوا عنهم من حيث رقة التعبير وعذوبة الألفاظ ، والبعد عن جفاف الصحراء وحوشيّة اللغة .

فنجده يتناول تشبيهات امرئ القيس – التي استحسنها الناس – إذ شبه شيئين بشيئين في بيت واحد في وصف عقاب [1] :

كأنَّ قُلوبَ الطير رطباً ويابساً لـــ   ــدى وكرها العُنَّابُ والحشف البالي

يقول الصولي : إذا كان الناس قد قالوا ؛ لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله فإن بشار وهو أعمى أكمه لم يرَ بعينيه قط ، شبه حدساً شيئين بشيئين في بيت ، فأحسن في ذلك وأجمل فقال :

كأنّ مُثارَ النَّقع فوق رؤسنا   وأسيافنا ليلٌ تهاوتْ كواكبُه

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضاً شاعر محدث آخر وهو منصور النمري شاعر الرشيد فقال :

ليلٌ من النقعِ لا نجمٌ ولا قمرٌ   إلا جبينكَ والمذرُوبةُ الشُّرُعُ [2]

وقال العتابي أيضاً مشبهاً شيئين بشيئين :

تبني سنابكها من فوق رؤوسهم   سقْفاً كواكبهُ البيضُ المباتيرُ

ويختم الصولي مقارنته هذه بأنه لا يجب أن يكون هناك تعصب بين قديم ومحدث ولكن التقدير يكون حسب جودة الفن ، ومقدرته الفنية على الإيحاء بصور يحسن بها الآخرون .

---

[1] رسالة الصولي إلى مزاحم : 17 ، الشعر والشعراء : 55 ، زهر الآداب : 3\184 . العقد الثمين : 104 .

[2] المذروبة الشرع : الرماح المشرعة .

ويرفض الصولي مبدأ سرد الأحكام العامة فيقول : إن هذا الشاعر أشعر النـــاس وإن ذلك أشعر من هذا ، فيرى أن كل شاعر – حسب عمره وطبقته – له إمكانياته الفنية ، وفي شعره مواطن الجودة ومواطن الضعف ، وإن لكل شاعر في شعره أمثلة عديدة على جودته في معـــانٍ معينة ، وضعفه في معانٍ أخرى .

ويضرب لذلك مثلاً أن جماعة من أهل الأدب تعصبوا لأبي نواس ضد بـــشار فقـــالوا : ((إن أبا نواس أشعر من بشار)) فرد الصولي عليهم ذلك ، وعرفهم ما جهلوه من فـــضل بـــشار وتقدمه في الشعر ، وأنه رأس جميع المحدثين وأولهم .

وقامت المقارنات بين شعر الرجلين وبين معانيهما ، فكان كلما ذكر أحدهما شيئاً لأبـــي نواس ، جاء الصولي بأصله فأفحمهم . [1]

ولكن الصولي يرى أنه يمكن رفع الشاعر درجة أو أكثر على شاعر آخر ، أو تفـــضيل غرض عنده على غرض لآخر ، أو معنى من معانيه على المعاني نفسها عند غيره .

وفي هذا المجال يقارن بين فحول الشعراء الأمويين الثلاثة : الفرزدق وجرير والأخطل من حيث معانيهم وأغراضهم وجودتهم الفنية ومقدرتهم الشعرية ، فهو لا يقلل من شأن جرير أو الأخطل وإن يكن يرفع الفرزدق درجة عليهم ، ويقدم الدليل على ذلك ، ثم يقول : إنه ما رفعه إلا ((لشرفه وقوة أسر كلامه وكثرة معانيه وجميل مذهبه ، ولأنه يتقدم عن الاثنين اللذين من طبقته في شعره [2])) .

---

[1] أخبار أبي تمام : 142 .

[2] رسالة الصولي إلى مزاحم : 11 .

خامساً : مذهب الطبع والصنعة في الشعر.

ويقارن بين شعراء المذهبين وأخص خصائصهم، وطريقتهم في التعبير، ويحدد السمات البارزة لطريقة كل منهم في النظم.

فتارة يقارن بين أبي تمام بوصفه إماماً لمذهب الصنعة ، وابن أبـي عُيينـه المطبـوع فيقول [1] : ((ولا أعلم شاعرين أشد تبايناً ولا أبعد شبهاً من أبي تمام وابن أبي عُيينه المطبـوع فإن أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب في طلبه حتى يبدع ، ويستعير ويغرب في كل بيت إن استطاع ... ولا يسقط معناه البتة، وإنما يختل في الوقت لفظه، فإذا استوى له اللفظ، فهو الجيد من شعره، النادر الذي لا يتعلق به.

وابن أبي عُيينه لا يصنع من هذا شيئاً ، ويرسل نفسه في شعره على سجيته ، ويخـرج كلامه مخرج نفسه بغير كلفة .. وربما اختل معناه ، ولان لفظه للطبع)) .

وتارة أخرى يقارن الصولي بين أبي تمام والبحتري فيقول [2] :

((إن شعر أبي تمام جيد لا يتعلق به أحد من أهل زمانه، وإن كان يختـل فـي بعـض قصائده لفظه لا معناه... أما البحتري فلا يختل شعره لا في لفظ ولا معنى إلا اختلالاً قريباً)).

ويرى الباحث أن الصولي يقر بفضل الشعراء الأقدمين وسبقهم في طرق الكثيـر مـن الموضوعات ، غير أن المحدثين لهم من الفضل بأن تناولوا هذه الموضوعات ، وجـددوا فـي معالجتها ، وطوروا عليها ، حتى إنهم أبدعوا في صياغتها ، ووضعوا لها قوالب جديدة تتناسـب مع حركة التطور والتقدم ، ومعطيات الحياة الجديدة ، كل هذا يشير بأن الصولي مـن أنـصار

---

[1] أخبار البحتري : 165 .

[2] أخبار أبي تمام : 67 ، أخبار البحتري : 57 ، الأغاني 18 \ 168 .

الشعر المُحدث مع تقديره للشعر القديم وأصحابه ، غير أن ميله للمحدثين ظاهرٌ جلي من خـــلال هذه المقارنات التي يعقدها ، ومن خلال شرحه لأبيات الشعراء وتفصيل مراميها.

هذا بالإضافة إلى تحيزه الواضح إلى مذهب الصنعة والتجديد في القوالـــب والتـــشبيهات وصياغة الألفاظ والتراكيب واستعارة المعاني وغريبها ، ويظهر هذا في مؤلفيه أخبار أبي تمـــام وأخبار البحتري .

2- السرقات

قضية السرقات من القضايا التي تناولها النقاد بالدراسة ، وأفردوا لها مصنفات عديدة منها مصنفات في سرقات شاعر من آخر ومنها في السرقات عامة.

وتبدو هذه القضية في أهميتها شبيهة بقضيتي اللفظ والمعنى ، وربما فاقتها خطورة لانشغال الأدباء بها فترة طويلة ، ولأنها اقتطعت من جهود النقد العربي جانباً كبيراً، وتتصل هذه القضية بسابقتها ؛ لأنها تقوم عليها ، أي أنها انبثقت من قضية اللفظ والمعنى إذ يقصد بالسرقة سرقة المعنى حيناً ، وسرقة اللفظ حيناً وكلاهما معاً أحياناً أخرى .

اختلف الدارسون في تحديد زمن دراسة السرقات ، فذهب بعضهم إلى أن هذه الدراسة لم تظهر إلا بظهور أبي تمام[1] ورأى بعضهم الآخر أنها قد تأتت قبل هذا الزمن[2] وليس يعنينا أن نرجح رأياً على آخر ، وإنما الذي يعنينا أن نشير إلى ظهور الاتجاه الجديد في شعر جماعة المحدثين من أصحاب البديع ، فقد آلى هؤلاء على أنفسهم أن يجددوا في المعاني والأساليب وكان النقاد لهم بالمرصاد ، ولم يتقبلوا تجديدهم ذلك بسهولة ، فعابوا اللغة واتهموا أساليبهم بالضعف ، ورموهم بالسرقة والاتكاء على القدماء في معانيهم وأساليبهم كذلك .

ألفت في هذه القضية كتب كثيرة ومؤلفات ، على سبيل المثال لا الحصر كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، وألف القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني كتاب الموازنة بين المتنبي وخصومه ، كما ألف الآمدي الحسن بن بشر كتاباً أسماه الموازنة بين

---

(1) تاريخ النقد الأدبي : 178 ، النقد المنهجي : 354 .

(2) مشكلة السرقات في النقد العربي : 76 .

الطائيين ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، وأخبار أبي تمام وأخبار البحتري لأبي بكر الصولي .

إن أية حركة تقوم حول شاعرين أو مذهبين أو فئتين من الشعراء ينقسم النقاد إزاء ذلك إلى فريقين ، فريق مؤيد وآخر مناهض، لذلك نجد أن معظم المؤلفات التي ألفت في السرقات كانت تدور حول أبي تمام والبحتري ثم المتنبي من بعدهما .

لقد شغل موضوع السرقات معظم النقاد في عصر الصولي وما بعده ، حتى لقد كان شغلهم الشاغل أن يذكروا من أين أخذ هذا الشاعر معناه ، ومن سبقه إليه ومن منهم أجاد الشاعر التابع أو المتبوع .

ولعل السبب في ذلك أن الشعر العربي بعد أن وصل الذروة الفنية في العصر العباسي على يد كبار الشعراء ، جمد واتخذ صورة ثابتة لا تتحول ، محورها الموضوعات القديمة والمعاني القديمة حتى وصلنا إلى أخريات عصر الصولي في القرن الرابع الهجري ، نجد أن الشعر العربي قد ارتبط بصورة ثابتة وبمعانٍ متكررة .

جمع عصر الصولي بين العديد من فحول الشعراء كان أهمهم في نظر النقاد أبو تمام والبحتري : فساعد وجودهما وما حولهما من مناقشات ومقارنات ، على تنشيط حركة النقد التي شغلت نقاد القرن الثالث جميعاً وما بعده ، وخلفت لنا ذخيرة نادرة ،في النقد الأدبي ، وثروة لم نظفر بمثلها في أي عصر من عصور الأدب السابقة .

ولا شك أن ظهور البحتري بعد أبي تمام، وتناوله لأغراضه ومعانيه، جعل النقاد يقارنون بين الشاعرين، وطريقتهما في التعبير، وبين مذهبيهما، وبين صياغتهما ومعانيهما .

انقسم النقاد إلى قسمين : فقد تشيع قوم منهم للبحتري ، وناصر قوم أبا تمام ، وخرج النقاد يقارنون ويوازنون بين الطائيين ، فمنهم من تعصب لطبع البحتري ، وشعره وصياغة معانيه وموسيقية ألفاظه ، وفي الوقت نفسه ينتقد صنعة أبي تمام وينكر عليه تجديده وتفلسفه وإغرابه ومنهم من تعصب لأبي تمام وفنه وصناعته وما أحدثه في فن الشعر من تجديد ، ومن هؤلاء النقاد الآمدي في موازنته بين الشاعرين الطائين أبو تمام والبحتري .

تناول الصولي موضوع السرقات بين الشاعرين الكبيرين ، فأظهر أن البحتري تابع لأبي تمام ، لائذ به ، متمثل بمعانيه ، سائر على هديه ، آخذ منه ، وضرب لذلك المثل تلو المثل مستشهداً بكثير من الأشعار التي تثبت قوله ، ومن ذلك قول أبي تمام [1] :

إذا القصائدُ كانت من مدائحهمْ ... يوماً فأنت لعمري من مدائحها

أخذه البحتري فقال :

ومنْ يكن فاخراً بالشعر يُذكر في ... أصنافهِ فبك الأشعارُ تفتخرُ [2]

وقال أبو تمام :

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ ... طُويت أتاح لها لسان حَسُودِ [3]

فأخذه البحتري فقال :

ولن تستبين الدهر موضعَ نعمةٍ ... إذا أنت لم تُدللْ عليها بحاسدِ [4]

---

(1) أخبار أبي تمام : 76-77 . ديوان أبي تمام : 68 .
(2) ديوان البحتري : 2 / 78 .
(3) ديوان أبي تمام : 77 .
(4) ديوان البحتري : 2 / 99 .

اعترف القدماء والمحدثون جميعاً بسرقات الشعراء وأخذ معاني بعضهم وهذا ما جعــل الصولي يتناول هذا الموضوع فيدافع عن الشعراء المحدثين .

لم ينف الصولي عن المحدثين تهمة السرقة والتبعية للأوائل ، بل اعترف أن المحــدثين يسيرون بريح القدماء آخذين معانيهم مضمنين لها في أشعارهم يصبون على قوالبهم ، وأن لهــم السبق بحق الاختراع والابتداء والطبع [1] .

ولكنه يقرر أيضاً أن المحدثين إذا كانوا قد استعملوا معاني القــدماء وأحيانــاً أفكــارهم وصورهم ، إلا أنه وجد في شعر المحدثين معاني لم يتكلم القدماء بها ، ومعاني أومأوا إليها فأتى بها هؤلاء المحدثون فأحسنوا فيها علاوة على أن شعرهم – بمعانيه القديمة والحديثة – طوعــوه لكي يتناسب مع الزمان والحضارة من حيث المعاني البديعة والألفاظ السهلة القريبــة ، والكــلام العذب الرقيق ، لذلك كان الناس له أكثر استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم [2] .

فالصولي لا ينفي تهمة السرقة عن المحدثين ، إلا أنه ً يربطها بالتجديد ويذكر أهــم مــا تواضع عليه النقاد والعاملون بالشعر في عصره ، يقول : ((إن الشاعر متى أخذ معنــى قــديماً فطوره ونقحه وزاد عليه ووشحه بالبديع ، فظهر تام المعنى ، كان أحق به)) [3] .

ويضرب لذلك مثلاً بقول أوس بن حجر [4] :

أقول بما صبَّتْ عليَّ غمامتي   وجُهْدي في حبلِ العشيرة أَحْطبُ

---

(1) أخبار أبي تمام : 16 .

(2) المصدر نفسه :17 .

(3) المصدر نفسه: 46 .

(4) المصدر نفسه : 54 .

وكيف أن أبا تمام أخذ هذا المعنى ، وطبعه بطابعه ، وأخرجه مخرجاً حسناً فكان به أحق من أوس بن حجر فقال :

فلو كان يفنى الشعر أفنتهُ ما قرتْ حياضُكَ منه في العصور الذَّواهبِ

ولكن صـــوب العقـــول إذا انثنت سحائب منـــها أُعْقبـــتْ بسحائبِ

ويذكر الصولي حكم النقاد والعلماء في قضية السرقات فيقول [1] :

((حكم النقاد للشعر ، العلماء به ، قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنـــى ولفظـــاً أو جمعاهما ، أن يُجعل السبق لأقدمهما سناً ، وأولهما موتاً وينسب الأخذ إلى المتأخر لأن الأكثر كذا يقع ، وإن كانا في عصر ، أُلحق بأشبههما به كلاماً ، فإن أشكل ذلك ، تركوه لهما)) .

ولقد أفرد الصولي لمبحث السرقات أكثر من بحث ، وتحدث عنها في أكثر مـــن مجـــال حتى ليمكن القول إنه لم يترك شاعراً من الشعراء الذين تناول شعرهم إلا ووجد في شعره أكثـــر من معنى مأخوذ من شاعر قديم أو معاصر .

فنرى الصولي يقف حكماً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل خصوصاً حين يدعي شاعر أن آخر سرق معانيه ، فنراه ينصب نفسه حكماً ، ويدقق ويقيم ثم يقول رأيه في هذا الموضوع .

ومن ذلك : ما تحدث به دعبل الخزاعي في أحد المجالس عن أبي تمام واتهامه له بأنـــه سرق معانيه ، وحدد ذلك بمعانيه التي ضمنها أبياته [2] :

إن امرءاً أسدى إليَّ بشافعٍ إليه يرجو الشكر منيِّ لأحمقُ

شفيعُك فاشكر في الحوائجِ إنَّه يصُونك عن مكروه وهو يُخلِقُ

---

[1] أخبار أبي تمام : 100 –101 .

[2] المصدر نفسه : 64 .

فيقول إن أبا تمام أخذها وصاغ معانيها فقال :

فلقيت بين يديك حلو عطائِه   ولقيت بين يديَّ مُرَّ سُؤالهِ[1]

وإذا امرؤٌ أسدى إليَّ صنيعةً   من جاهِهِ فكأنها من مالـــهِ

فما كان من أحد السامعين إلا أن قال: أحسن والله... ، والله لئن كان أخذ هــذا المعنـــى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك، فقد أجاد، فصار أولى به منك.

ويأتي الصولي بالقول الفصل فيقول : ((إن شعر أبي تمام أجود ، لأنه مبتدئاً ومتبعاً أحق بالمعنى)) [2].

ولقد حرص الصولي دائماً في ترجمته للشعراء المحدثين على أن يذكر من أين استقى هذا الشاعر معناه ، ومن الذي سبقه إلى ذلك ، وحرص أيضاً على إيراد الشعر الأصلي الذي استقى منه المعنى .

ومن ذلك – الشعر الذي رواه الصولي لأحمد بن يوسف ، في تعزية صديق لـــه ماتــت ببغاؤه ، وكان له أخ متخلف عقلياً يُدعى عبد الحميد .. قال أحمد بن يوسف [3] :

أنت تبقى ونحن طُرَّاً فداكـــا   أحسن الله ذُو الجـــلال عزاكا

فلقد جـــلَّ خطبُ دهرٍ أتانـــا   بمقاديـــرَ أتلفـــت ببَّغاكـــا

عجباً للمنـــون كيف أتتهـــا   وتخطَّتْ عبد الحمـــيد أخاكـــا

كان عبد الحميد أصلح للموْ   ت مـــن الببغا وأولى بذاكـــا

---

[1] ديوان أبي تمام : 212 .

[2] أخبار أبي تمام : 222 – 223 .

[3] المصدر نفسه : 222 – 223 .

يقول الصولي : وإنما أخذه أحمد بن يوسف من قول أبي نواس ، وزاد في المعنى إرادة وكراهية ... قال أبو نواس : لما مات الرشيد وقام الفضل بن الربيع يعزي الأمين :

تَعَزَّ أبا العباس عن خير هَالكٍ ... بأكرم حيّ كان أو هو كائنُ

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساوئ مرة ومحاسنُ

وفا الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابنُ

ويقول الصولي أيضاً : ومن ههنا أخذ ابن بسام قوله لعبيد الله بن سلمان ، لما مات ابنه الحسن وبقي القاسم :

قل لأبي القاسم المُرزَّي ... قابلك الدّهرُ بالعجائبِ

مات لكَ ابنٌ وكان زيناً ... وعاش ذو النقص والمعائبِ

حياة هذا كموت هذا ... فلست تخلو من المصائبِ

ويبين الصولي كيف كانت المعاني تتداول بين الشعراء فيذكر في مجال الاعتذار قول سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي [1] :

إني أعوذُ بخير الناس كُلِّهمِ ... وأنت ذاك بما تأتي وتجتنبُ

وأنت كالدّهر مبثوثاً حبائلهُ ... والدهرُ لا ملجأ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عنان الريح أصرفهُ ... في كل ناحيةٍ ما فاتك الطَّلبُ

---

[1] أخبار أبي تمام : 19 – 22 .

فيقول الصولي : إن قول سلم الخاسر ((ولو ملكت عنان الريح)) مأخوذ من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدركتــهُ مقادِرُه

وإن قول سلم ((أنت كالدهر)) مأخوذ أيضاً من قول الأخطل :

وإن أمير المؤمنين وفعلهِ لكا لدّهر لا عارٌ بما فعل الدّهرُ

ومن الجدير بالذكر بأن الصولي كثيراً ما كان يُرجع معاني المحدثين إلى القدماء ، سواء كانوا جاهليين أو إسلاميين ، وإذا قارن بين شاعرين محدثين تصارعا من أجل معنى ، واتهما كل منهما الآخر بالسرقة – كما فعل دعبل وأبو تمام – نراه يحلل المعنى ، ويذكر من الأجود ، ومن الأحق بنسبة المعنى إليه ، وكان لذوقه وحاسته الفنية أثر كبير فيما يصدره من أحكام حول الشعر والشعراء.

وهكذا يمكن القول : إن أبا بكر الصولي خير من عرض لفكرة السرقات فـــي عــصره وخير من برهن عليها وطبقها على من درسهم من الشعراء مستأنساً بما عُرف عنها لدى النقاد .

سرقات البحتري من أبي تمام :

إن ظهور البحتري بعد أبي تمام وتناوله لإغراضه ومعانيه جعل النقـــاد يقـــارنون بـــين الشاعرين وطريقتهما في التعبير ، ومن الذي أحسن في هذا المعنى أو ذاك ؟ ومن أين أخذ هـــذا المعنى ؟ وهل أجاد أم أختل ؟ وما الذي سرقه البحتري ؟ وحاول الذين وقفوا إلى جانب أبي تمام إظهار سرقات البحتري منه ولوذه بمعانيه .

تناول الصولي موضوع السرقات بين الشاعرين ، فأظهر أن البحتري تابع لأبي تمام لائذ به ، متمثل بمعانيه ، سائر على هديه ، آخذ منه وضرب لذلك الأمثلة الكثيرة ، واستشهد بأبيــات كثيرة جداً من ذلك قوله :

قال أبو تمام :

إذا القصائد كانت في مدائحهم **يوماً فأنت لَعَمري من مدائحها**[(1)].

فقال البحتري :

ومن يكن فاخراً بالشعر يذكر في **أصنافه فبكِ الأشعار تفتخرُ** [(2)]

وقال أبو تمام :

وإذا أراد اللهُ نشــرَ فضيلــةٍ **طُويت أتــاح لها لسان حَسـُودِ**[(3)]

فقال البحتري :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة **إذا أنت لم تُدلل عليها** بحاسدِ [(4)]

وزاد الصولي بأن البحتري لم يتبع أبا تمام في معانيه فحسب ، بل يستعير كثيــراً مــن ألفاظه ، إذ قال : ((فأما الذي نقله البحتري نقلاً فأخذ اللفظ والمعنى ، فقول أبي تمام يصف شعره

منزهةٌ عن السرْق المورّى **مكرّمةٌ عن المعنى المُعادِ** [(5)]

---

(1) أخبار أبي تمام : 76 ، ديوان أبي تمام : 68 .

(2) أخبار أبي تمام : 36 ، ديوان البحتري : 2 / 104 .

(3) ديوان أبي تمام : 77 .

(4) أخبار أبي تمام : 77 ، ديوان أبي تمام : 74 .

(5) أخبار أبي تمام : 74

فقال البحتري يصف بلاغته :

لا يعمـــل المعنـــى المكـــر ر فيـــه واللفـــظ المـــردد [1]

وعلى الرغم من أن الصولي استشهد بالأمثلة الكثيرة التي تؤكد أخذ البحتري من أبي تمام وصرح بذلك أيضاً[2] ، فأنه ذكر أنه لولا أن بعض أهل الأدب ألف في أخذ البحتري من أبي تمام كتاباً لساق الكثير من أمثال الشواهد التي ذكرها[3].

وزاد الصولي أن البحتري وإن أخذ من أبي تمام المعاني والألفاظ فأنه وقع دونـــه ولـــم يلحقه[4] ، يقول الصولي : ((وأني لأراه يتبع أبا تمام في معانيه حتى يستعير مع ذلك بعض لفظه، فلا يقع إلا دونه ويعود في بعضها طبعه تكلفاً وسهله صعباً))[5] .

ويبدو أن عصبيته على البحتري دفعته لأن يلتمس سرقاته عند غير أبي تمام أيضاً ، إلا أن هذه السرقات قليلة إذا قورنت بسرقاته من أبي تمام[6] .

---

(1) أخبار أبي تمام :82 . الموشح : 322 ، ديوان البحتري : 2 / 56 .
(2) أخبار أبي تمام : 73
(3) المصدر نفسه : 74
(4) المصدر نفسه : 85
(5) أخبار البحتري : 60 ، الموشح : 331
(6) أخبار البحتري : 139 ، الموشح : 340 – 339

3- اللفظ والمعنى

من المسائل الكبرى عند النقاد القدامى ، مسألة اللفظ والمعنى ، فقد قامت المعركة بينهم على أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية ، ومن ثم في تقويم شخصية كل منهما في السيادة والأولوية.

ولعل المحفز لهذه المعركة الإعجاز القرآني ، أو فكرة الإعجاز في القرآن وارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها ، فكان النزاع محتدماً في أين يكمن الإعجاز ، في اللفظ و تأليفه أو المعنى ودلالته ، أو بهما معاً ، أم بالعلاقة المتولدة بين اللفظ والمعنى .

ولأهمية هذه القضية في الثقافة العربية الإسلامية، فقد كانت محـــط اهتمـــام البـــاحثين والدارسين على اختلاف بيئاتهم ومعارفهم، فتعددت حولها النظريات ، وتضاربت حولهـــا الآراء واختلفت المناهج ، والمصطلحات من حقل لآخر. ونستطيع أن نقول : إن التداخل والترابط الذي تتسم به ثقافتنا العربية الإسلامية، جعل من هذه القضية إرثا مشتركاً بين جميع البيئات المعرفية.

لقد عالج النقاد مسألة اللفظ والمعنى على أساس المقابلة بين كل منهما ، وانقسم النقاد في ذلك إلى طوائف :

1- طائفة تنظر إلى مقومات العمل الأدبي من جانب المعنى غافلة اللفظ

2- طائفة تنظر إلى الألفاظ فقط

3- طائفة ساوت بين اللفظ والمعنى

ولا بد لنا من السير شوطاً في غمار هذه المعركة للكشف عن مراميها ، وسبر أغوارها ، لنصل بعد هذا المسير إلى ميناء الصولي الذي ترسو عليه الصورة الأدبية .

وحيث إن مجال هذه الدراسة لا يتسع للحديث عن كل الحقول المعرفية التي تناولت قضية اللفظ والمعنى بالدراسة والبحث (تفسيرا وفلسفة ونحوا وفقه لغة وبلاغة ونقدا وأدبا وفقها وأصولا)، فقد فضلنا أن نشير إلى جهود النقاد الذين كانت لهم نظرات ثاقبة في هذه القضية التي تنم عن اتساع أفق معرفتهم ، بدليل ما خلفوه من أبحاث ومؤلفات، وما أرسوه من مبادئ علمية أصيلة بخصوص اللفظ والمعنى، وبذلك نساهم في إعادة قراءة قضية اللفظ والمعنى تبعاً لجهود الصولي النقدية .

ما من شك أن الجاحظ (ت 255 هـ) هو أول من أشعل شرارة هذه المعركة ،وطرق أبوابها من زوايا متعددة وجوانب مختلفة في أكثر من موطن في كتبه ، وهو في كل ذلك يضع الأناقة والجودة والجمال في المزاوجة بين اللفظ والمعنى .

ومن ذلك قوله :« المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني إنما الشأن في إقامة الوزن ، و تخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع وجودة السبك » [1].

يشير الدكتور سلام في كتابه تاريخ النقد الأدبي والبلاغة إلى أن الجاحظ من أنصار اللفظ وأن اللفظ له استقلالية تامة عن المعنى ، يقول: ‹‹ فقول الجاحظ بأن المعاني مبذولة في الطريق

---

(1) الحيوان : 3 \ 131 – 132 .

وأن المعول في البلاغة على الألفاظ ووصفهم للصلة بين الاثنين كالصلة بين الجواري والمعارض... فأياً ما كانت هذه الأوصاف ففيها تصور لكل واحد منهما قائم بذاته مستقل عن الآخر)) .(1)

ويعلل الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب، سبب الفهم الخاطئ لرأي الجاحظ بأنه من أنصار اللفظ قائلاً :

((ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا القول إن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول لأننا نراه ينوه بألوان المعاني الغريبة العجيبة ، والشريفة الكريمة ، والبديعة المخترعة ،ويبين كيف يتنازعها الشعراء ، فيدعي كلٌ أنها من بنات أفكاره ووحي خياله ، وكيف أن من هذه المعاني ما يخرجه الشاعر إخراجاً لا يُبارى فينصرف الشعراء عنه عجزاً)) (2).

ويرى الدكتور سعود عبد الجابر أيضاً أن الجاحظ من أنصار اللفظ والمعنى ، حيث يقول في كتابه النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره : ((ويرى الجاحظ في أكثر من مكان في مؤلفاته ضرورة الموازنة بين اللفظ والمعنى والملاءمة بينهما وهما عنده ركنان أساسيان لا بد من مراعاتهما على حد سواء في العمل الأدبي)) (3).

وأراني أطمئن إلى الرأي الثاني الذي يشير إلى المزاوجة بين اللفظ والمعنى، لأن الجاحظ أشار غير مرة في مؤلفاته إلى ضرورة الموازنة بين اللفظ والمعنى ، والملاءمة بينهما حيث

---

(1) تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري : 66

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 327 – 328 . الحيوان : 3 \ 311 .

(3) النقد الأدبي القديم أصوله وتطوره : 68 .

يشكلان وحدة واحدة في العمل الأدبي ، وإن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد، كمـــا أن المعنى روح اللفظ وغايته التي من أجله وضع .

أما ابن قتيبة (ت 276 هـــ) فقد ذهب إلى القول بالجمع بين اللفظ والمعنى مقياساً في البلاغة وميزاناً للقيمة الفنية ، فرأى أن الشعر يسمو بسموهما وينخفض تبعاً لهما ، وقد قسم الشعر إلى أربعة أضراب :

1 ــ ضرب حسن لفظه وجاد معناه .

2 ــ ضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .

3 ــ ضرب منه جاد معناه ، وقصرت ألفاظه .

4 ــ ضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه [1] .

أي أن اللفظ والمعنى عنده يتعرضان معاً للجودة والقبح ، ولا مزية لأحدهما على الآخر،ولا استئثار بالأولوية لأحد القسيمين، فقد يكون اللفظ حسناً وكذلك المعنى ، وقد يتساويان في القبح وقد يفترقان.وسار على منهاجه قدامة بن جعفر في نقد الشعر وتحدث عن اللفظ والمعنى وجعلهما قسيمين في تحمل مظاهر القبح وملامح الجودة فيما أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني[2].

أما ابن رشيق (ت 456 هـــ) فقد عدّ اللفظ والمعنى شيئاً واحداً متلازماً ملازمة الروح للجسد ، فلا يمكن الفصل بينهما بحال ، قال : « اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه كارتباط

---

(1) الشعر والشعراء : 7 – 9 .

(2) نقد الشعر : 194 – 214 .

الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقــصاً للشعر وهجنة عليه .. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه » [1] .

وعليه فإن الآراء تتضارب وتتعد في قضية اللفظ والمعنى ، والذي يهمنا في هذا المقــام هو رأي الصولي الذي أدلى بدلوه في هذه القضية ، حيث وقف إلى جانب المزاوجة بينهمــا وأن مقياس الجودة عنده هو الحد الفاصل ،كما جانس بين اللفظ والمعنى فهما عنده على هيكل واحد لا تفريق بينهما يقول :

((إن البحتري احتذى معاني في أبيات لأبي تمام واقتصها فجذبته المعاني واضطرته إلى أن حكى لفظه)) [2].

وفي حديثه عن مقياس الجودة الذي يعده الحد الفاصل بين الألفاظ والمعاني إذ إن المعاني التي يبتكرها الشاعر إنما تستند على الألفاظ ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل أي أن الجودة في ائتلاف اللفظ والمعنى. فالفخر مثلاً يناسبه الألفاظ الجزلة التي تملأ الفم ، ذات الجرس القوي ، والغزل يناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة ، والرثاء يناسبه الألفاظ ذات الموســيقى الهادئة التي تعبر عن الحزن والألم يقول :

---

[1] العمدة : 1 \ 124 .

[2] أخبار أبي تمام : 74 .

((وأبو تمام لا يسقط معناه البتة ، وإنما يختل في الوقت لفظه ، فإذا استوى له اللفظ الجيد من شعره النادر الذي لا يتعلق به أحد)) [1].

يستطرد الصولي في حديثه عن اللفظ والمعنى في مؤلفه أخبار أبي تمام ، فيــذكر تــارة اللفظ وحده وأخرى يذكر المعنى وحيداً، وهذا يوحي لكثير من الباحثين أن الصولي لم يقف موقفاً فصلاً في هذه القضية .

فيذكر المعاني المخترعة التي يتكئ فيها الشاعر على نفسه وهذا من باب وقوفــه إلــى جانب أبي تمام يقول : ((وليس أحد من الشعراء – أعزك الله – يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام))[2] ، إنما أراد هنا ذكر المعنى وحيداً من أجل إظهــار ميــزة البديع عند أبي تمام وعلوه على غيره من الشعراء ، لا من أجل تفضيل المعنى على اللفظ .

أراد الصولي أن يرد تهمة السرقة عن أبي تمام وأن يجد له مخرجا فيها فــذكر المعنــى بمعزل عن اللفظ، لأن السرقة تكون في المعاني لا في الألفاظ ، يقول عن المعنى:((ومتى أخــذ الشاعر معنى وزاد عليه ، ووشحه ببديعه وتتم معناه فكان أحق به))[3].

وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الصولي يفضل المعنى على اللفظ أو العكس إنما كما تم ذكره سابقاً أنه من النقاد الذين يزاوجون بين الألفاظ والمعاني والمقياس في ذلك الجودة .

---

[1] الموشح : 337 .
[2] أخبار أبي تمام : 53 .
[3] المصدر نفسه : 53 .

وقف الصولي إلى جانب الشعراء المحدثين وجعل أبا تمام على رأس هذه المجموعة من الشعراء ، وفضله على غيره منهم ، وتعرض إلى ألفاظهم وأكد أنها منتقلة إلى معان أبدع وألفاظ أقرب وكلام أرق[1] ، فهو يدافع عنهم من خلال ألفاظهم دون ذكر منه إلى معانيهم .

ومن هنا نجد أن الصولي قد تناول قضية اللفظ والمعنى ، وأنه يشيد بأهمية اللفظ تــارة وأهمية المعنى تارة أخرى في أكثر من موضع ، مما يدل على أنه لم يهتم باللفظ علــى حــساب المعنى ولا بالمعنى على حساب اللفظ ، وإنما زاوج بينهما وأن لكل منهما دوراً بالغاً الأهمية في تمام اللفظ وجلاء الصورة عن المعنى، غير أن آراءه في قضية اللفظ والمعنى جاءت مبثوثة غير منتظمة ، وذلك في معرض حديثه عن قضايا أخرى كـــ : وقوفه إلى جانب أبي تمام والــشعراء المحدثين ، وحديثه عن قضية السرقات وردها عن أبي تمام وغيرها .

يتضح إذن – من خلال ما سبق – أن نظرة الصولي لطبيعة اللفظ والمعنى هو التلازم، فلا وجود للفظ بدون معنى، ولا وجود لمعنى بدون لفظ ، فعالجها وفق مناهج ونظريات متباينة و لم يذكرها بشكل منفرد مخصوص .

---

[1] أخبار أبي تمام : 16 .

4- موقفه من الشعر وعلاقته بالدين

لم يعد الشعر ديواناً للجماعة ، ولم يعد مرتبطاً بالتعليم والتهذيب ، وإنما أصبح مــتحللاً منها ، مطالباً بالقيام بدور الدعاية للطبقة المسيطرة وبدور إمتاعها والترفيه عنها، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرو أن نجد فئة قليلة من نقاد القرن الثالث والرابع الهجريين ترنو ببصرها إلى الدور القديم الذي كان يضطلع به الشعر أيام صدر الإسلام وبعده ببرهة ، أعنى ذلك الدور المتمثل في قيام الشعر بالحث على مكارم الأخلاق ومراعاة أحكام الدين .

وهناك رسالتان طريفتان : إحداهما لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـــ) والأخرى لابن المعتز[1]. وهاتان الرسالتان توضحان المذهبين اللذين كانا سائدين في عصرهما – نهاية القرن الثالث الهجري – ورسالة أبي بكر الأنباري تمثل المذهب الأول الذي ذهب إلى ربط الشعر بالدين وقواعده ، ودافع صاحبها عن هذا المذهب ، ورسالة ابن المعتز تمثل المذهب الذي ذهب إلى فصل الشعر عن الدين . على أن رسالة ابن المعتز التي تمثل الأســاس الأول لهــذه النظرية لم تأت بمنهج واضح أو قاعدة صريحة لبناء نظرية فصل الدين عن الشعر التي ذهــب إليها ، كما أنها ربطت العلاقة بين الدين والخلق من جهة وبين الشعر من جهة أخرى .

وقد بلغت العلاقة أوجها حين حكم أبو عمرو بن العلاء للبيد بن ربيعة بالجودة والتفضيل لا لجودة شعره بل لإسلامه وذكره الله ، وذكره الدين والخير .

---

(1) جمع الجواهر : 41 – 44

يقول : ((ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة ، لذكره الله عز وجل ، ولإسلامه ولذكره الدين والخير)) [1].

رأى بعض النقاد أن يتقيد الشعراء بعقائد الدين وقواعد الخُلق وأن يجعلوا عواطفهم متفقة مع الدين والخُلق ، بينما رأى بعضهم الآخر أن ليست ثمة علاقة بين هذا المقياس وبين الشعر وتقويمه والحكم عليه .

ونتجاوز هذا كله لنصل إلى أبي بكر الصولي الذي وضع الدعامة الأولى لاستقلال هذه النظرية النقدية في تاريخ النقد العربي التي تبناها من بعده القاضي الجرجاني[2]. فقد فصل الصولي الدين وقواعده عن الشعر وأحكامه وأبعد الكفر والإلحاد عن جودة الشعر أو رداءته وأكد أن الكفر لا ينقص من شعر الشاعر ، كما أن الإيمان لا يزيد منه ، يقول : ((وما ظننت أن كفراً ينقص من شعر ، ولا أن أيماناً يزيد فيه)) [3] .

ولكي يؤكد الصولي ما ذهب إليه أوضح أن هنالك شعراء ثبت الكفر عليهم ، وضُربت أعناقهم لمروقهم عن الدين ، إلا أن رتب أشعارهم لم تنتقص عند الناس ولم تذهب جودتها ، إلا أنه لم يذكر هؤلاء الشعراء ، وقد أثبت هذا الاستقلال وهذا الفصل بين دين الشاعر وشعره بأن كفره لا يؤثر على شعر ، بل قد يؤثر على الشاعر نفسه .

---

(1) الموشح : 71

(2) الوساطة : 64

(3) أخبار أبي تمام : 172

إذ يقول : ((ولو كان على حال الديانة لا غروا من الشعراء بلعن من هو صحيح الكفر واضح الأمر ممن قتله الخلفاء بإقرار وبينة ، وما نقصت بذلك رتب أشعارهم ، ولا ذهبت جودتها، وإنما نقصوا هم في أنفسهم ، وشقوا بكفرهم))[1] .

وقد فصل الصولي بين الدين والشعر على هذا الأساس ، ومهما يكن فإن الدراسة تذهب إلى أن الصولي تكلم على هذه النظرية النقدية التي كُتب لها الاستقلال والنظرة المنهجية .

---

[1] أخبار أبي تمام : 173

الباب الثاني :

موقف الصولي من الخصومة بين القدماء والمحدثين

- أثر الصولي في الخصومة حول مذهب أبي تمام .
- موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام
- ميله لأبي تمام .
- رد تهمة الكفر عن أبي تمام .

الخصومة بين القدماء والمحدثين

جاء أبو تمام فجدد في الشعر العربي تجديداً حقيقياً ، وكأنه قد خرج عن ما عهده الجاهليون والأمويون من شعر ، لذلك قامت خصومة بين أنصار أبي تمام وبين خصومه ، علماً أنه لم يغير شيئاً في الأصول الفنية للشعر العربي ، ولم يخرج إلا على عاموده ، ومعنى العامود عندهم – على ما يبدو – هو الصياغة ، فأغراضه الشعرية هي أغراض القدماء نفسها وطريقة بنائه للقصيدة هي طريقة القدماء ، وكذلك معاني شعره .

انتقلت الخلافة العباسية من دمشق إلى بغداد ، فجاور العرب الفرس وعاشروهم وأخذوا بحضارتهم المرهفة وقلدوهم واقتبسوا من عاداتهم وتقاليدهم ، فجدت في الشعر فنون وضروب لم يألفها الجاهليون ، ولم يأنس إليها الأمويون كأشعار المجون والخمريات والغزل بالمذكر، والجواري والحرية التي أفضت إلى الفوضى والابتذال .

لم تكن المشكلة قائمة بين القديم والحديث من تقيد القدماء بالأصول الفنية والأخذ بالموضوعات التي أخذ فيها الجاهليون والأمويون ، وإنما أتت الخصومة من تقيدهم بالتفاصيل وهذا ما يوضح لنا نزعة أبي تمام إلى التجديد في الصياغة واتخاذه البديع مذهباً له ، اتصف بالتكلف والإسراف والإغراب في المعاني المألوفة ، هنا ظهر النقاد الناقمون على أبي تمام من جهة والأنصار الداعمون لموقفه من جهة أخرى .

أثر الصولي في الخصومة حول أبي تمام

نشأت الخصومة حول شعر أبي تمام ثم تطورت بعد ذلك إلى المفاضلة بينه وبين معاصره البحتري الذي تتلمذ عليه في بداياته الشعرية ، وأفاد من شعره وشاعريته .

فقد اعترف البحتري – في أكثر من مرة – بفضل أبي تمام عليه في ذلك ، ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله : ((كنت في حداثتي أروم الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبعي ، ولم أكن أقف على تسهيل مآخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه واتكلت في تعريفه عليه)) [1].

وقوله عندما سأله أحد معاصريه عن رأيه فيما يزعمه الناس من أنه أشعر من أبي تمام :
((والله ما ينفعني هذا القول ، ولا يضر أبا تمام ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، ولو وددت أن الأمر كما قالوا ، لكني تابع له ، لائذ به آخذ منه،نسيمي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه)) [2].

وفي الوقت الذي كان فيه البحتري يتحسس طريقه الشعري ، كان أبو تمام يتربع على كرسي الشعر في عصره ، مثيراً دهشة معاصريه بغرابة شعره الذي تضافرت عوامل كثيرة على خلقه وتكوينه ، ولعل أوضحها ذكاؤه وقوة طبعه فيقول له أحدهم ، وهو إسحاق الموصلي :
((يا فتى ما أشد ما تتكئ على نفسك)) أي أنه لا يحتذي في نهجه الشعري حذو الشعراء السابقين وإنما يستقي فنه من نفسه [3].

---

(1) زهر الآداب : 1 \ 101 .
(2) الموشح : 31 .
(3) العمدة : 1 \ 133 .

ومن هنا اختصم النقاد حول شعر أبي تمام بين مؤيد له ومعترض عليه ، ويزداد الخلاف بين الطرفين وتزداد حدته بظهور شعر البحتري وذيوعه بين الناس ، وخلو كرسي الشعر له بعد وفاة أبي تمام (1).

بدأ النقاد في المفاضلة بين الشاعرين ، وأخذ كل منهم في تحليل شعريهما لبيان محاسن كل منهما ومساوئه ، إذ يرى المؤيدون للبحتري في نهجه الشعري ميلاً إلى المحافظة على الأصول الفنية للشعر العربي القديم ، على العكس من نهج أبي تمام الذي يضطره كثيراً إلى الخروج على هذه الأصول .

تبارى النقاد في التأليف حول هذه الخصومة فهذا ابن المعتز يكتب رسالة في محاسن أبي تمام ومساوئه ، ويؤلف أحمد بن أبي طاهر كتاباً عن سرقات أبي تمام ، ويكتب أبو الضياء بشر بن تميم عن سرقات البحتري ، ويكتب ابن عمار عن أخطاء أبي تمام.

أما الصولي فيؤلف كتاب أخبار أبي تمام ويدافع في مقدمته عن هذا الشاعر ، ويخصص الفصل الأول منه للإشادة بفضله على غيره من الشعراء ، وأنه على رأس مدرسة الشعراء المحدثين .

إذ يقول : ((وهو رأس في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه حتى قيل : مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينتسب إليه ويقفي أثره)) (2). ويضيف الصولي أن ليس ثمة شاعر يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها غير أبي تمام (3).

---

(1) الموازنة : 1 \ 4 ، 19 .

(2) أخبار أبي تمام : 37 .

(3) أنظر المصدر نفسه : 53 .

وقد عمل الصولي جاهداً على أن يكشف معاني أبي تمام الجيدة ، وبين أنه ((يتعب نفسه ويكد طبعه ويطيل فكره ويعمل المعاني ويستنبطها)) [1].

ويصل الصولي في تعصبه ووقوفه إلى جانب أبي تمام بأن دافع عن سرقاته قالاً :

((بأن لو جاز أن يصرف عن أحد من الشعراء سرقة ، لوجب أن تصرف عن أبي تمام لكثرة بديعه واختراعه واتكائه على نفسه)) [2].

ثم يعقد الصولي في كتابه السابق مقارنة بين أبي تمام والبحتري في أكثر من موضع يبين فيها فضل الأول على الثاني ، وأن البحتري اعترف في غير موضع بأن جيد أبي تمام خير من جيده [3].

أما الأسلوب النقدي الذي استخدمه الصولي في دفاعه عن أبي تمام ومذهبه الجديد في الشعر فهو على شكلين الأول :يهدف إلى إبعاد الشبهة عن نفسه في التعصب لأبي تمام وذلك عن طريق إثبات مجموعة من الروايات والأقوال المروية عن أئمة الأدب واللغة ، من أمثال ثعلب[4]والمبرد[5]وعن شعراء من أمثال ابن المعتز[6] والبحتري[7] و عمارة بن عقيل[8]، زكلّ هذا من أجل إبعاد السرقة عن أبي تمام وذلك بأن أثبت الرواية لغيره .

---

(1) أخبار أبي تمام : 118 .
(2) المصدر نفسه : 100 .
(3) أنظر أخبار أبي تمام : 60 – 67 .
(4) أخبار أبي تمام : 176 .
(5) المصدر نفسه : 58 .
(6) المصدر نفسه : 97 .
(7) المصدر نفسه : 66 . 67 . 70 . 106 .
(8) المصدر نفسه : 58 . 94 .

أما الثاني : وهو الإسكات إذ يستخدمه في المناظرات التي كانت تنشأ بينه وبين مـــن لا يرغب في أبي تمام وشعره ،عن طريق الإتيان ببيت لأبي تمام مقاربا في المعنى للبيـــت الـــذي قورن فيه ويكون أجود منه ، دون أن يأخذ البيت المقارن بالنقد والتحليل يقول الصولي :

((وجاذبني يوماً بعض من تعصب على أبي تمام بالتقليد لا بالفهم ويقدم غيره بلا دراية فقـــال : أيحسن أبو تمام أن يقول كما قال لبحتري :

تسرّع حتى قال من شهد الوغى　　　لقاءُ أعادٍ أم لقاءُ حبائبِ[1]

فقلت له : وهل افتض هذا المعنى قبل أبي تمام أحد في قوله :

حنَّ إلى الموت حتى ظن جاهله　　　بأنه حن مشتاقاً إلى وطنِ)) [2].

هذه بعض الأمثلة التي أوردها الصولي في كتابه أخبار أبي تمام عن تفضيله لأبي تمـــام وتعصبه ووقوفه إلى جانبه .

ونخلص من كل ما سبق إلى أن الصولي لا يعد شعر أبي تمام انتهاكاً لحرمـــة عـــامود الشعر ولا خروجاً عليه ، بقدر ما يعده تعديلاً لمساره وتوجيهه وجهة جديدة ، وليس في شعره ما يدعو إلى اتهامه بالخروج على الصياغة التعبيرية للشعر العربي ، فاتجاهه هذا يدل دلالة واضحة على فهمه لروح الصياغة وتعبيره تعبيراً يتلاءم مع فكره وثقافته المستمدة مـــن ينـــابيع الفكـــر والوجدان .

---

[1] ديوان البحتري : 2 / 69 .

[2] أخبار أبي تمام : 79 . ديوان أبي تمام : 346 .

موقف الصولي من النقاد المتعصبين على أبي تمام

شهد العصر العباسي ظهوراً كبيراً للاتجاهات الشعرية التي كانت تتسم بالتجديد ، بعد أن شهدت الحياة العربية تطوراً جديداً لم تألفه من قبل في الترف والتقاء الحضارات ، وحمل الشعراء دعوة التجديد واتخذها الكثيرون سبيلاً لهم في فنون قصائدهم وأغراضها ، فكانت سمة المجددين الذين وقفوا من القديم موقفاً فيه الكثير من التحدي والخروج عليه .

ويعد أبو تمام أول من حمل لواء التجديد في الشعر العربي ؛ لذا كان محط أنظار النقاد في عصره – وكما ذكرنا سابقاً انقسم النقاد بين مؤيد لهذا التجديد وبين رافض له وألفت فيه الكثير من الكتب والمؤلفات .

وقف الصولي مدافعاً عن أبي تمام وتصدى للنقاد المتعصبين على شعره ، ورد عليهم في كتابه أخبار أبي تمام الذي كان دفاعاً عن الشاعر بل كان إلى جانبه .

تحدث الصولي عن افتراق آراء النقاد في الشاعر ، وأكثرهم والمقدم في علم الشعر وتمييز الكلام منهم والكامل في أصل النظم والنثر فيهم ، يوفيه حقه في المدح ويعطيه موضعه من الرتبة ثم يكبر بإحسانه في عينه ، ويقوي بإبداعه في نفسه حتى يلحقه ببعضهم بمن تقدمه ويفرط بعضهم فيجعله نسيج وحده وسابقاً لا مساوي له ، وفريق يعيبونه ويطعنون في كثير من شعره . وخصومه صنفان . يقول الصولي : « واذكر جميع ما قيل فيه وإن كان قصدي تبيين فضله والرد على من جهل الحق فيه » [1].

---

[1] أخبار أبي تمام : 5 .

ثم يفند الصولي رأيه بمن عاب شعر أبي تمام بأن خصومه صنفان :

الأول: ((هم الذين يجهلون شعره ولا يستطيعون فهمه ، ولذلك عـابوه وأسـرفوا فـي التعصب عليه وتمسكوا بالقديم ؛ لأن أشعار الأوائل قد ذللت لهم وكثرت لها رواياتهم ، ووجـدوا أئمة قد ماشوها لهم وراضوا معانيها فهم يقرؤونها سالكين غيرهم في تفاسيرها واستجادة جيـدها وعيب رديئها ، وألفاظ القدماء وإن تفاضلت فأنها تتشابه ، وبعضها آخذ برقاب بعض فيـستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ويقرون على صعبها بما ذللوه ولم يجدوا في شعر المحدثين منـذ عهد بشار أئمة كأئمتهم ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيهم شرائطهم ،ولم يعرفـوا مـا كـان يضبطه ويقوم به،وقصّروا فيه فجهلوه فعادوه، كما قال الله عزّ وجلّ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطـوا بعلمه ﴾[1] وكما قيل : الإنسان عدُو ما جهل: ومن جهل شيئاً عاداه ، وفرَّ العالم منهم من قوله إذا سُؤل أن يُقرأ عليه شعر بشار و أبي نواس ومسلم وأبي تمام وغيرهم ، من لا أُحسِنُ إلى الطعن وخاصة على أبي تمام لأنه أقربهم عهداً وأصعبهم شعراً ، وكيف لا يفر إلى هذا مـن يقـول : اقرءوا عليَّ شعر الأوائل ، حتى إذا سُئل عن شيء من أشعار هؤلاء جهله ، وإلى أي شيء يلجأ إلا إلى الطعن على ما لم يعرفه ، ولو أنصف لتعلم هذا من أهله كما تعلم غيره فكان متقدماً فـي علمه ، إذ كان التعلم غير محظور على أحد ولا مخصوص به أحد))[2].

ويدعو الصولي العلماء إلى البحث والتحليل ، والتعمق في الدراسة والاطلاع على علوم الأولين والمحدثين والأخذ عن الأساتذة المشهورين ، حتى يثقفوا أنفسهم ويكمل كل منهم الـنقص في الجانب الذي يجهله ، وبذلك يستطيع المرء منهم الحكم على الشعراء ، وتمييز ألفاظهم والحكم

---

[1] سورة يونس : 39 .

[2] أخبار أبي تمام : 14 .

بالجيد أو الرديء لهم ، فيكون عالماً بالكلام منظومه ومنثوره ، قادراً على معرفة الأشياء التي تطلب منه ، حافظا لمآخذ الشعراء .

لقد أكد الصولي أن النقاد تعصبوا للقديم لا لشيء إلا لقدمه ، وتعصبوا على الحديث لحداثته ، وحاول أن يثبت هذه الحقيقة ، وكان يشير في أمثلته إلى ابن الأعرابي الذي مثل المتعصبين للقديم على الحديث ، فقد أورد رواية على أن ابن الأعرابي وقف نداً للمحدثين دون دراية أو تمحيص ، بل عن تعصب وتقليد . يقول الصولي :

((حدثني علي بن محمد الأسدي قال : حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال : وقف ابن الأعرابي على المدائني فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال إلى الذي هو كما قال الشاعر :

تحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

قال أبو بكر : فتمثل بشعر أبي تمام وهو لا يدري ، ولعله لو درى ما تمثل به ، وكذلك فعل في النوادر : جاء فيها بكثير من أشعار المحدثين ولعله لو علم بذلك ما فعله)) [1].

وهذا تعليل للذين وقفوا من أبي تمام موقف المزري ؛ ذلك لأنهم كانوا يرون في شعر أبي تمام خروجا عن أساليب العرب ، وإن كانت في أحكامهم قسوة فليس مرده إلى الجهل وإنما إلى موقفهم من الأدب عامة ويضاف إلى ذلك أن اختلاف الرأي ليس مرده إلى الجهل كما قال الصولي ، وإنما مرده في الغالب إلى اجتهاد قد يكون مصيباً وقد لا يكون .

---

[1] أخبار أبي تمام : 177 .

ثانياً: هم المعاندون الذين اتخذوا من تجريحه سبيلاً إلى المجد ، قال : ((فأما الصنف الثاني ممن يعيب أبا تمام فمن يجعل ذلك سبباً لنباهة او استجلاباً لمعرفة إذ كان ســاقطاً خــاملاً فألف في الطعن عليه كتاباً واستغوى عليه قوماً ليعرف بخلاف الناس وليجري له في النقص إذ لم يقع له حظ في الزيادة ومكسب بالخطأ إذ حرمه من جهة الصواب وقد قيل : (خــالف تــذكر) ولعله ظن إن هذا مثل قول الشاعر وهو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر :

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنما　　　يرجى الفتى كيما يَضُرَّ وينفعا)) [1].

وقال آخر : (إن فاتك الخير فارفع علما في الشر) ، واحتج آخر في قوله الشعر الرديء بأنه إنما أراد أن يذكر فقال :

سوف أهجوك إن بقيت بشعرٍ　　　ليس إن قوموه فلسين يسوى

ويقولتون ذا رديءٌ وحسبي　　　أن يقولوا لـــه رديء ويروى [2]

ويعلل الصولي هذا بأن الحسد والشهرة دافع إلى اتخاذ موقف معاد ، وهذا ما حصل لأبي تمام حيث طعن فيه الكثيرون ممن أثارتهم شهرته وشعره الذي طبق الآفاق فانبرى له المغمورون يثلبونه ، ويعيبون شعره ويتسقطون هفواته .

تحدث الصولي عن شعر المحدثين وما فيه من تجديد وأصالة وتميز على القديم ليصل إلى هدفه في تفضيل أبي تمام والدفاع عنه ، فألفاظ المحدثين منذ عهد بشار إلى وقته كالمتنقلة إلـــى معان أبدع ، وألفاظ أقرب ، وكلام أرق وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء ، وأنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عياناً ، كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم

---

(1) أخبار أبي تمام : 40 – 41 .

(2) المصدر نفسه : 28 .

مشاهدة وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحارى والبر و الوحش وغيرها فهم في هذه أبداً القدماء كما أن القدماء فيما لم يروه أبداً دونهم .

ولأن المتأخرين يجرون بريح المتقدمين ويصبون على قوالبهم وينتجعون كلامهم ، وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده ، وفي شعر هؤلاء معان لم يتكلم القدماء بها ، ومعان أومأوا إليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها ، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان ، والناس له أكثر استعمالاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم ، وقد استحسن الناس لامرئ القيس تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد في وصف عقاب [1] :

كأنَّ قُلوبَ الطير رطباً ويابساً لـــ ـــدى وكرها العُنَّابُ والحشف البالي

يقول الصولي : إذا كان الناس قد قالوا ؛ لا يقدر أحد بعده على أن يأتي بمثله فإن بشار وهو أعمى أكمه لم يرَ بعينيه قط ، شبه حدساً شيئين بشيئين في بيت ، فأحسن في ذلك وأجمل فقال :

كأنّ مُثارَ النَّقع فوق رُؤُسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوتْ كواكبُه

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضاً شاعر محدث آخر، وهو منصور النمري شاعر الرشيد إذ قال:

ليلٌ من النقعِ لا نجمٌ ولا قمرٌ إلا جبينكَ والمذرُوبةُ الشُّرُعُ [2]

وقال العتابي أيضاً مشبهاً شيئين بشيئين :

تبني سنابكها من فوق روسهم سقْفاً كواكبهُ البيضُ المباتيرُ

---

[1] رسالة الصولي إلى مزاحم : 17 ، الشعر والشعراء : 55 ، زهر الآداب : 3\184 . العقد الثمين : 104 .

[2] المذروبة الشرع : الرماح المشرعة .

هذا موقفه من المحدثين عامة ، ومن أبي تمام خاصة فقد دافع عنه ورد ما اتهم به من عيوب في شعره ، واتخذ قاعدة في ذلك وهي أن القدماء قد عيبوا فما سقطت مراتبهم ، ولكن أبا تمام حين عيب ادعوا انه ليس بالشاعر الكبير ، ولو وهم في بعض شعره أو قصر في شيء منه لما كان ذلك مستحقاً أن يبطل إحسانه.

ميل الصولي لأبي تمام

أشارت الدراسة سابقاً إلى أن الصولي يرى في خصوم أبي تمام أحد رجلين : رجل جاهل عجز عن فهمه فعابه ، ورجل ساقط يريد أن يتخذ من تجريحه لأبي تمام سبيلاً إلى المجد . وأما أن ينتقد أدب أبي تمام عن اعتقاد ودون دراية بفنون الشعر وصناعته ، فذلك ما لا يقبله الصولي ولا يستطيع أن يسيغه ، فهو يقول: ((وليت أبا تمام مني بعيب من يجل في علم الشعر قدره أو يحسن به علمه ، ولكنه منى بمن لا يعرف جيداً ولا ينكر رديئاً إلا بالادعاء)) [1].

وإذا سمع بأن أحد النقاد قد عاب على أبي تمام لفظاً أو معنى كان جوابه : ((ولو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الحذاق من القدماء والمحدثين لكثر حتى يقل عندهم ما عابوه على أبي تمام إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه . ومنزلة عائب أبي تمام – وهو رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه حتى قيل مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينسب إليه ويقتفي أثره)) [2]. وسبيله في الدفاع عن أبي تمام هو سبيل القياس بالقدماء أو السابقين على أبي تمام قياساً يدل على علو ذوق الصولي ، وعلى فطنته للمفارقات الأدبية الدقيقة ثم على محفوظه الشعري لأشعار السابقين ومعرفته بأخبارهم .

---

[1] أخبار أبي تمام : 38 .

[2] المصدر نفسه : 37 .

والأمثلة على ذلك كثيرة . يقول الصولي : ((وعابوا قوله وأسقطوه عند أنفسهم

ما زال يهذي بالمواهب دائباً　　　حتى ظننـــا أنـــه محمـــومُ[1]

فكيف لم يسقطوا أبا نواس بقوله في العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر :

جــدْتَ بالأمـــوال حـــتـــى　　　قيــل ما هــذا صحيــحُ [2]

والمحموم أحسن حالاً من المجنون : لأن هذا يبرأ فيعود صحيحاً كما كان ، والمجنـــون قلما يتخلص . فأبو تمام في تشبيهه الإفراط في الإعطاء والبذل بإكثار المحموم ، أعذر من أبـــي نواس إذ شبهه بفعل المجنون)) [3]. فهذا تعليل مقبول ومقارنة جميلة بين القولين .

وثمة مثل آخر أثار نقاشاً طويلاً ، يقول الصولي : وعابوا على أبي تمام قوله :

لا تسقني ماء الملام فإنني　　　صب قد استعذبت ماء بكائي

قال العائبون : ((ما معنى ماء الملام ؟)) [4].

يقول الصولي في توضيح البيت وشرحه :

((وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وما أكثر ماء شعر الأخطل ! قال يونس بن حبيـــب. ويقولون : ماء الصبابة ، وماء الهوى ، يريدون الدمع)) [5].

وبعد أن أورد أمثلة لشعراء تناولوا هذا اللفظ والمعنى في شعرهم قال الصولي :

---

(1) ديوان أبي تمام : 266 .
(2) أخبار أبي تمام : 32 .
(3) أخبار أبي تمام : 32 . ديوان أبي تمام : 10 .
(4) أخبار أبي تمام : 33 .
(5) المصدر نفسه : 34 .

((فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجاء به في صدر بيته لما قال في آخره ((فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي)). قال في أوله : لا تسقني ماء الملام .وقد تحمل العــرب اللفظ[1]على اللفظ فيما لا يستوي معناه . قال الله عز وجل﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ والــسيئة الثانية ليست بسيئة لأنها مجازاة ، ولكنه لما قال : وجزاء سيئة ، قال سيئة ، فحمل اللفظ علـــى المعنى ، وكذلك ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ وكذلك ﴿وبشرهم بعذاب أليم ﴾ لما قال : بشر هــؤلاء بالجنة ، قال : بشر هؤلاء بالعذاب ، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر فحمل اللفظ على اللفظ . أظهر الصولي مقدرة فنية فائقة على الشرح والتحليل والنقد ، استخدم في ذلــك ثقافتــه ومعرفته التاريخية واللغوية والأدبية .

رد تهمة الكفر عن أبي تمام

ذهب الصولي في ميله ودفاعه عن أبي تمام إلى رد كل طعنة كانت توجه إليه حتى فيما لا يتعلق بالشعر والأدب ، ومن ذلك أنه نفى عنه الكفر الذي اتهم به ، وأضعف رواية من رواها.

ويروي الصولي أن أحمد بن طاهر قال له : ((دخلت على أبي تمام وهو يعمــل شــعراً وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم فقلت ما هذا ؟ قال اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة)) [2].

ويقول أيضا : ((إن قوماً قد ادعوا على أبي تمام الكفر بل حققوه وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه))[3] .

---

[1] أخبار أبي تمام : 35 .
[2] المصدر نفسه : 173 .
[3] المصدر نفسه : 173 .

وقال أيضاً : ((وقال قوم وهو حبيب بن تدوس النصراني فغير فصار أوساً، ونحن عندما ننظر في الشعر الذي هجا به أبا تمام نجده يدور دائماً حول اتهامه في نسبه قال الموصلي مخلد ابن بكار :

أنت عندي عربي الـــ   أصل ما فيك كلام

عـــــربي عــــربـــي   أجـــاء مـــا تـــرام

ثـــم قالـــوا جاســـمي   من بني الأنباط خام

كـــذبـــوا مـــا أنت إلا   عـــربي ما تضـــام

أنت عنـــدي عـــربي   عـــربي والســـلام

وكان أبو تمام لا يجيب هاجياً له ، وقد سُئل يوماً أن يرد على الموصلي فقال :

((إن جوابي يرفع منه وأستدر به سبه ،وإذا أمسكت عنه سكنت شقيقته ،وما في فـــضل عن مدح من اجتديه)) [1].

ويقول شاعر آخر في هجائه :

واذكر حبيب بن أوشونا ودعوته   فإن طياً إذا سبوا به جزعوا

لـــو أن عبد مناف في أرومتهـــم   تقبلوك لما ضروا ولا نفعوا [2]

إذن فأبو تمام كان يتهم بأنه نبطي ، وأنه ولد لأب نصراني ولربما كان في ذلك ما يفسر اتهامه بالكفر .

---

[1] أخبار أبي تمام : 241 .

[2] المصدر نفسه : 242 .

التمس الصولي في الرواية التي أوردها أحمد بن طاهر العذر لأبي تمام ، وفسر قوله بأنه أراد أنهما –(أبو نواس ومسلم) – شغلاه بشعرهما عن عبادة الله عز وجل ، وأن من المحال أن يكون عبد اثنين ، ثم ينفي الكفر عنه بقوله :

((فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به حتى يلعنوه في المجالس ؟)) [1].

لقد أضاءت آراء الصولي جانباً من جوانب الحياة الأدبية في عصره وخصوصاً ما دار حول الشعراء المحدثين وموقف بعض النقاد منهم ، حين حدد الصولي موقف النقاد المتعصبين وكشف الغطاء عن تعصبهم الذي جاءهم بالتقليد فقط ، وكذلك الحال فيما دار حول أبي تمام والبحتري إذ استطاع أن يبين موقف أعداء أبي تمام على الأقل ، إنما أعداء البحتري فلم يكشف الغطاء عنهم ، ولعل هذا لكونه في المقدمة منهم .

وأنا إذا أضع نهاية لسطور هذه الرسالة أرجو ألا أكون قد خطّأت صواباً أو صوّبت خطأً وعذري أن أقول تلك هي مداركي ومعارفي سخرتها أشد التسخير ، وعسى أن تكون قد بلغت ما أردت .

---

[1] أخبار أبي تمام : 173 .

النتائج والتوصيات

- أبو بكر الصولي (336هـ) علم من أعلام النقد في القرن الرابع الهجري الذي يوصف بأنه عصر الإسلام الذهبي .

- نشأ أبو بكر الصولي في عصر نضوج الثقافة الأدبية والفكرية وتتلمذ على عدد من رجال الفكر والأدب ، وكان من أشهرهم السجستاني والمبرد وثعلب وغيرهم من العلماء ، الذين كان لهم الأثر الأكبر في تطور ونماء الحياة الفكرية والأدبية والعلمية في عصر الصولي و ما تلاه، إلى عصرنا الحاضر .

- تعلم الصولي العلم بطريقتين معروفتين في عصره ، هما الرواية والدراية ، وليس أدل على ذلك من تتبع مصادر ثقافته ، فنجد في مؤلفاته نقلاً من شتى مصادر الأدب والنقد ، شارحاً وناقداً ودارساً، فهذا كتابه أخبار أبي تمام من أغنى كتب الصولي النقدية ،إذ ضمنه معظم آرائه ونظراته النقدية ، ولا شك في أن سبب ذلك ميله إلى أبي تمام ،وقف الصولي مدافعاً عن شاعر تأججت الخصومة حوله ، وكثرت النظرات النقدية في شعره ، تضلع الصولي في النقد الأدبي وأموره ، لتكون ردوده مقنعة ، وتكون كلمته هي العليا ، وحججه في دفاعه عن أبي تمام واضحة جلية لا تشوبها شائبة .

تطلب البحث في دراسة الجهود النقدية لأبي بكر الصولي أن اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ضمنتها عدد من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

النتائج:

- إن النقد في نهاية القرن الثالث أصبح فناً أدبياً مستقلاً له رجاله ، وكتبه التي تناقش عدداً من القضايا التي توسع نقاد القرن الرابع الهجري في بحثها .
- لم يضع الصولي كتاباً خاصاً في النقد كما فعل غيره من نقاد عصره ، وإنما تناول القضايا النقدية التي دارت حول شعر الشعراء المحدثين من الناحية التطبيقية العملية فعالج الشعر وفنونه ومعانيه وألفاظه ، وهو نقد يقوم على التحليل والشرح وبيان مواطن الجودة والرداءة والجمال والقبح في الشعر، من خلال عقد المقارنات وتتبع سرقات الشعراء وإرجاع المعاني إلى أصحابها .
- وقف الصولي إلى جانب الشعراء المحدثين في الخصومة التي دارت حول أشعارهم وبين من خلال ذلك موقف النقاد المتعصبين عليهم ، وكشف عن تعصبهم الذي جاء بالتقليد الأعمى لا بالفهم والدراسة ، وأن عدائهم للشعر المحدث فقط لأنه يخالف الشعر القديم ولا يسير على نهجه ولا ينسج على منواله، بغض النظر عما فيه من تجديد وإبداع
- إن القضايا النقدية التي تناولها الصولي في مؤلفاته كقضية اللفظ والمعنى هي أساس قضية الشكل والمضمون ، كما أن قضية السرقات التي عالجها الصولي لم يخل أدب في الآداب العالمية منها .

- أما أبو تمام والبحتري فالصراع حولهما ما زال قضية يتناولها الدارسون لدى حديثهم عن القديم والحديث أو الأصالة والمعاصرة .

فلست أدعي أن أبا بكر الصولي كان أساساً لكل هذه القضايا ، ولكنه واحد من الذين أرسوا دعائم النظرية النقدية في الأدب العربي وأصالتها ، على الرغم من التحديات التي واجهتها .

التوصيات :

- الصولي هذا العالم الجليل، ما زال بحاجة إلى دراسة في كثير من النواحي ، فلم يكن ناقداً وحسب ، وإنما كان أديباً وشاعراً ومؤرخاً ونديماً للخلفاء ، وكان من أصحاب المكتبات الكبرى التي تضم العديد من الكتب في شتى صنوف العلم والمعرفة .
- توصي هذه الدراسة طلبة اللغة العربية بالاشتغال في النقد الأدبي لما فيه من مجال واسع لإدراك الغاية السامية من اللغة العربية ولما فيه من جمال لتذوق النص الأدبي شعراً ونثراً .

وبهذا تنتهي دراستي في الجهود النقدية عند أبي بكر الصولي ، وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في تبيان جهوده وتوضيحها ، وإن قصرت فذلك لا يسلم منه بشر.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين،**البداية والنهاية في التـــاريخ** . (1933م). مــصر ، مطبعــة السعادة.
- ابن الأثير، ضياء الدين،. **الكامل في التاريخ** . (1966م) بيروت ، دار صادر .
- الأصفهاني ، أبو الفرج ، **الأغاني** . (1963م) . المؤسسة المصرية للنشر والترجمة .
- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ،**الموازنة بين أبي تمام والبحتري** .(1965م).تحقيق أحمد صقر ، مصر ، دار المعارف .
- الأنباري ، أبو البركات كمال الدين ،(1294هــ). **نزهة الألباء في طبقات الــشعراء** . القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- الأندلسي،ابن عبد ربه ،**العقد الفريد** . (1940م). تحقيق أحمد أمين وآخرون ، القاهرة.
- أورنه ، سماح عدنان ، (2003م) . **التلقي الجمالي في النقد العربي القــديم – شــعر المتنبي نموذجاً – في القرنين الرابع والخامس الهجري** . (رســالة ماجــستير غيــر منشورة) ، جامعة دمشق ، سورية .
- البحتري ، الوليد بن عبيد بن يحيى ، **ديوان البحتري** . (1943م) . مطبعة الجوانــب القسطنطينية ، ط1 .

- البكري ، طرفة بن العبد ، **العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ديــوان طرفة بن العبد** .(1886هــ) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- بروكلمان ، كارل ،(1959م). **تاريخ الأدب العربي** . ترجمة عبد الحليم النجار ، مــصر دار المعارف .
- البغدادي ، إسماعيل ،**هدية العارفين** . (1955م) . استانبول ، المطبعة البهية.
- البغدادي ، الخطيب ، **تاريخ بغداد** . (1931م) . القاهرة .
- تحريشي ، محمد ، (1989م) . **النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري** . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة حلب ، سورية .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **البيان والتبين** . (1969م) . تحقيق عبــد الــسلام هارون ، ط4 ، بيروت ، دار إحياء التراث .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر،**الحيوان** . (1938م). تحقيق عبد السلام هــارون مصر.
- الجرجاني ، القاضي عبد العزيز ، **الوساطة بــين المتنبــي وخــصومه** . (1966 م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي ، القاهرة .
- ابن جعفر ، قدامة ، (1948 م) . **نقد الشعر** . تحقيق كمال مصطفى ، مصر .
- ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، **المنتظم في تاريخ الملــوك** . (1992م) تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

- ابن حجر،. **لسان الميزان** ،(1331هـ) مطبعة حيدر آباد .
- الحصري ، إبراهيم بن علي ،. **جمع الجواهر في الملح والنوادر** ،(1953 م) . تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر .
- الحصري ، إبراهيم بن علي ،**زهر الآداب وثمر الألباب** ،(1972 م) . تحقيق عبد الحميد ، ط4 ، بيروت ، دار الجيل للطباعة .
- الحموي ، ياقوت ،**إرشاد الأديب** ، (1913 م) . مطبعة ليدن .
- الحموي ، ياقوت ، **معجم الأدباء** ،(1936 م) . مطبعة دار المأمون .
- الحنبلي ،عبد الحي بن العماد ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (1989 م) . تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط 1 ، دمشق ، دار ابن كثير .
- خلكان ،شمس الدين أحمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (1970 م) تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر .
- خليفة ، حاجي (بلا تاريخ) . **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** . دار الفكر ، الطبعة الفيصلية .
- ربابعة ، وليد سليم ، (1995م) . **نظرية الذوق في النقد الأدبي عند العرب من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري – ماهيته ومهمته –** .(رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة اليرموك ، الأردن .
- الرومي ، علي بن العباس بن جريح ، **ديوان ابن الرومي** . (1283هـ) . المكتبة الحمرية ، الرياض .

- الزركلي ، خير الدين ، (1995م) . **الأعلام.** ط 9 ، بيروت ، دار العلم للملايين .
- سلام ، محمد زغلول ، (1964 م) . **تاريخ النقد الأدبي إلى القرن الرابع الهجري.** دار العارف .
- ابن سلطان ، أبو الفداء إسماعيل ، (بلا تاريخ) . **تاريخ أبي الفداء** . دار الكتاب اللبناني
- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ،**الأنساب** . (1912م) . نشر مرجليوث مطبعة ليدن .
- الصولي ، أبو بكر ، **أخبار أبي تمام** . (1972 م) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي ، بيروت .
- الصولي ، أبو بكر ، **أخبار البحتري** . (1958 م) . تحقيق صالح الأشتر ، دمشق ، دار الفكر .
- الصولي ، أبو بكر ،**أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم** – من كتاب الأوراق –(1936 م). تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ، **أخبار الرضي بالله والمتقي لله** – من كتاب الأوراق – (1935 م) تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ، **أخبار الشعراء** – من كتاب الأوراق – (1934 م) . تحقيق هيورث دن ، القاهرة .
- الصولي ، أبو بكر ،**أدب الكتّاب** . (1341 هـ) تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة

- الطائي ، أبو تمام حبيب بن أوس ، **ديوان أبي تمام** .(1968م). شرح الدكتور شـــاهين عطية ، ط1 ، الكتاب اللبناني ، بيروت .
- عباس ، إحسان ، (1983م) . **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** . بيروت ، دار الثقافة .
- عبد الجابر ، سعود محمود ، (2000م) . **النقد الأدبي القديم أصوله وتطــوره** . ط 1 عمان ، الحامد للنشر والتوزيع .
- عتيق ، عبد العزيز ، (1974 م) . **تاريخ النقد الأدبي عنـــد العــرب**. بيــروت ، دار النهضة العربية .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ،**الشعر والشعراء** . (1967 م) . تحقيق أحمــد محمد عساكر ، دار المعارف .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، **عيون الأخبار** . (1930 م) . مطبعـــة دار الفكر المصرية .
- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف،**أنباه الرواة على أنباه النحاة** (1950 م) تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ، دار الكتب .
- القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، **العمدة في محاســن الــشعر وآدابــه ونقــده** (1972 م) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، بيروت ، دار الجيل .
- الكندي ، امرؤ القيس ، **العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ديوان امرئ القيس** .(1886م) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- لدجي ، أحمد ، (1922 م) . **الفلاكة والمفلكون** . مصر ، مطبعة الشعب .

- المرزباني ، أبو عبيد الله ، **معجم الشعراء** . (1960 م) . تحقيق عبد الساتر أحمد فراج مصر .
- المرزباني ، محمد بن عمران ، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء** . (1965 م) . تحقيق محمد البجاوي ، القاهرة ، دار النهضة .
- المسعودي ، علي بن الحسين ، **مروج الذهب** . (1958 م) . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة السعادة .
- مطلوب ، أحمد ، (1973م) . **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري** . الكويت وكالة المطبوعات .
- المزني ، زهير بن أبي سلمى ، **العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ديوان زهير بن أبي سلمى** . (1886م) . المطبعة اللبنانية ، بيروت .
- مندور ، محمد ، (1969 م) . **النقد المنهجي عند العرب.** مكتبة النهضة المصرية.
- المنذر ، حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت . (1281هـ) . المطبعة المحمدية الرياض .
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين **لسان العرب** . (1955م) . بيروت ، دار صادر
- موسى ، محمد خير شيخ ، (1992م) . **نقد النثر العربي حتى القرن الرابع الهجري** . (أطروحة دكتوراه) ، جامعة دمشق ، سورية .
- المومني ، قاسم ، (1986م) . **نقد الشعر في القرن الرابع الهجري** . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر .

- ابن النديم ، محمد بن إسحق ، **الفهرست** . (1348 هـ) . تحقيق رضا تجدد المطبعة الرحمانية .
- هدارة ، محمد مصطفى ، (1958 م) . **مشكلة السرقات في النقد العربي** . مصر .
- اليافعي ، أبو محمدعبد الله بن سعد ، **مرآة الجنان** . (1383هـ) . حيدر أباد مؤسسة الأعلمي .